

الضياء

في التعليق على

البيضا

إعداد

د. إبراهيم بن توفيق بخاري



الضياء في التعليق على البيضاء

لكل مسلم حق طبع هذا الكتاب دون تغيير

التعليق على منظومة البيضاء في عقيدة السلف
ونجاة الخلف لفضيلة الشيخ:
د. سليمان بن عبدالعزيز العيوني

رقم الطبعة

الأولى

سنة الطبع

١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٦ م

عدد الصفحات

١٢٨ صفحة

المقاس

١٧ × ٢٤

رقم الإيداع

١٤٤٨ / ٦١٤٥

ردمك

٩٧٨-٦٠٣-٨٦١٦-٣٦-



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي نور القلوب بالعلم، ورفع أهله درجات في الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على نبي الهدى، الذي ورث الأمة علمًا نقيًا، وهديًا مستقيمًا، ومنهجًا واضحًا لا يزيع عنه إلا هالك. أمّا بعد ..

فإن منظومة البيضاء للدكتور سليمان بن عبد العزيز العيوني - وفقه الله - من المتون المختصرة التي اعتنت ببيان عقيدة السلف بأسلوب سهل قريب من أفهام الناشئة، فجاءت أبياتها واضحة العبارة، مُحكمة المعنى، جامعة لأصول الاعتقاد بلا تعقيد ولا غموض.

وقد جرى في تاريخ العلم أن تُصاغ مسائل العقيدة في منظومات تُسهّل حفظ الأصول على الطلبة، فظهرت منظومات مشهورة كـ«الحائية» لابن أبي داود، و«اللامية» لابن تيمية، و«النونية» لابن القيم رحم الله الجميع، وغيرها مما اعتنى العلماء بضبطه وتقريبه، فجاءت منظومة البيضاء امتدادًا لهذا النهج التعليمي، بصياغة ميسرة تناسب المبتدئين، وتُقرّب لهم أصول الاعتقاد بأسلوب واضح مبارك.

ولأجل ذلك كان هذا التعليق الموجّه للنشء والمبتدئين من طلبة العلم؛ قصدت فيه تقريب المعاني، وشرح المقاصد، وبيان المراد بالفاظ سهلة، وتوضيحات تربوية، تُعين القارئ على فهم المنظومة، وتُرسّخ في قلبه أصول الاعتقاد التي سار عليها السلف الصالح، وقد أسميته: **«الضياء في التعليق على البيضاء».**

وهذا التعليق ليس شرحًا موسّعًا، ولا بحثًا مطوّلًا، وإنما هو إضاءات مختصرة، وملحوظات تربوية، وتوجيهات علمية، تُناسب من يبدأ طريق الطلب، وتفتح له باب الفهم، وتُحبّب إليه العلم، وتُقرّب إليه معاني العقيدة بأسلوب ميسر مبارك.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا التَّعْلِيْقَ خَالِصًا لَوَجْهِهِ، مَبَارَكًا فِي أَثَرِهِ، نَافِعًا لِلنَّاشِئَةِ وَالْمَبْتَدِئِينَ
مِنَ طَلِبَةِ الْعِلْمِ، وَأَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ بِهِ أَبْوَابَ الْفَهْمِ، وَيَجْعَلَهُ لِبْنَةً أُولَى فِي طَرِيقِ عِلْمِي رَاسِخٍ
مُسْتَقِيمٍ.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ هَذَا الْعَمَلَ بِفَضْلِكَ، وَبَارِكْ فِيهِ، وَانْفَعْ بِهِ، وَاجْعَلْ مَا فِيهِ مِنْ صَوَابٍ رَحْمَةً، وَمَا
فِيهِ مِنْ خَطَأٍ مَغْفُورًا، إِنَّكَ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

أَعَدُّهُ:

د. إبراهيم بن توفيق البخاري

مكة

حرسها الله

المنظومة كاملة

المقدمة

١. الْحَمْدُ لِلْعَظِيمِ ... الْوَاحِدِ الْكَرِيمِ
٢. مُصَلِّيًّا مُسَلِّمًا ... عَلَى الرَّسُولِ مُكْرَمًا
٣. وَالْأَلِ وَالْأَصْحَابِ ... وَبَعْدُ: يَا أَحْبَابِي

اسم المنظومة، وموضوعها

٤. فَهَذِهِ (الْبَيْضَاءُ) ... مَنْظُومَةٌ حَسَنَاءُ
٥. عَلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ ... وَهِيَ النِّجَاةُ لِلْخَلْفِ

مصادر التلقي

١. قُرَأْنُنَا وَالسُّنَنَةُ ... بِفَهْمِ خَيْرِ الْأُمَّةِ
٢. أَكْرَمَ بِهِمْ مِّنْ سَلَفٍ ... فَأَعْضَضَ عَلَيْهِمْ وَاقْتَفَى
٣. وَكُنْ لَهُمْ مُتَّبِعًا ... لَا زَائِعًا مُّبْتَدِعًا

الأصول الثلاثة

الأصل الأول: معرفة العبد ربه

٤. مَنْ رَبُّنَا الرَّحْمَنُ ... مَعْبُودُنَا الْمُتَّانُ

٥. اللَّهُ رَبُّ الْخَلْقِ ... يُمِدُّنَا بِالرِّزْقِ

الأصل الثاني: معرفة العبد دينه

٦. وَدِينُنَا الْإِسْلَامُ ... مَعْنَاهُ الْإِسْتِسْلَامُ

٧. لِلَّهِ طَائِعِينَ ... حَقًّا مُوَحِّدِينَ

الأصل الثالث: معرفة العبد نبيه

٨. ثُمَّ مِنَ النَّبِيِّ؟ ... مُحَمَّدٌ الزَّكِيُّ

٩. مُرْشِدُنَا لِلَّهِ ... هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ

١٠. صَلِّ وَسَلِّمْ - رَبِّي - ... عَلَى حَبِيبِ الْقَلْبِ

التوحيد وأنواعه

الغاية من خلق الخلق

١١. خُلِقْتُ لِلتَّوْحِيدِ ... وَطَاعَةِ الْمَجِيدِ

النوع الأول: توحيد الربوبية

١٢. فَأَفْرُدُ الْخَلَاقَا ... بِفِعْلِهِ الرَّزَّاقَا

١٣. مُدَبِّرُ وَنَافِعُ ... وَمَالِكُ وَرَافِعُ

النوع الثاني: توحيد الألوهية

١٤. مُعْتَقِدًا إِفْرَادَهُ ... بِالْقَصْدِ وَالْعِبَادَةِ

١٥. كَالذَّبْحِ وَالصَّلَاةِ ... وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ

١٦. وَالنَّذْرِ وَالِدُّعَاءِ ... وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ

١٧. وَصَرَفُهَا لِغَيْرِهِ ... شِرْكٌ خِلَافُ أَمْرِهِ

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات: قاعدة الأسماء والصفات

١٨. لَهُ وَصِفَاتُهُ الْعُلَا ... وَأَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى بِلَا

١٩. تَحْرِيفٍ أَوْ تَعْطِيلٍ ... تَكْيِيفٍ أَوْ تَمْثِيلٍ

صفات الله قسمان: ذاتية وفعلية

٢٠. فَرُبُّنَا عَظِيمٌ ... وَوَجْهُهُ كَرِيمٌ

٢١. فَوْقَ السَّمَاءِ قَدْ عَلَا ... حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

٢٢. وَيَنْزِلُ الْغَقَّارُ ... إِذَا تَجِي الْأَسْحَارُ

٢٣. ذُو الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا ... إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

من صفاته: كلامه، ومنه القرآن

٢٤. قُرْآنُهُ الْمُرْتَّلُ ... كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ

٢٥. وَلَيْسَ بِالْمَخْلُوقِ ... أَوْ نَاقِصٍ مَّلْحُوقِ

حماية جناب التوحيد

٢٦. فَلْتَحْمَيْنَ جَنَابَهُ ... وَطَّيَّرْنَ رِحَابَهُ

المناهي اللفظية

٢٧. وَاحْلِفْ بِرَبِّ الْخَلْقِ ... لَا بِالنَّبِيِّ وَالْخَلْقِ

٢٨. وَلَا تَقُلْ: (مُطِرْنَا ... بِالنَّجْمِ، أَوْ أَخْصَبْنَا)

٢٩. وَ(رُبُّنَا قَدْ شَاءَ ... وَشِئْتُ)، لَا سَوَاءَا

٣٠. وَ(لَوْ) لَدَى التَّعَذُّرِ ... لِلذَّنْبِ، وَالتَّحَسُّرِ

٣١. وَالذَّهْرَ لَا تَسُوبَا ... وَالرَّيْحَ، تُؤْذِ الرَّبَّ

الغلو والتساهل في الدين

٣٢. أَوْ تَعْلُونَ فِي الدِّينِ ... أَوْ تُفْرِطْنَ فِي اللَّيْنِ

٣٣. أَوْ تُطْرَيْنَ نَبِيًّا ... أَوْ صَالِحًا وَلِيًّا

٣٤. أَوْ تَهْزَأْنَ بِاللَّهِ ... أَوْ دِينِهِ، يَا لَاهِي

التبرك والتوسل

٣٥. بِالثَّابِتِ التَّبَرُّكِ ... وَمَا سِوَاهُ يُتْرَكُ

٣٦. وَجَازَتْ الْوَسِيلَةَ ... بِالطَّاعَةِ الْجَلِيلَةِ

٣٧. وَوَصَفِهِ وَالْأَسْمَاءَ ... ثُمَّ دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ

تعلق القلب بغير الله

٣٨. وَلَا تَسَلْ مَقْبُورًا ... أَوْ عِنْدَهُ الْغُمُورًا

٣٩. وَاجْتَنِبِ التَّمَائِمَ ... وَالسِّحْرَ وَالتَّشَاؤِمَا

٤٠. وَلَا تُصَدِّقْ بُرْجًا ... وَكَاهِنًا مُعَوَّجًا

٤١. وَكُنْ جَمِيلَ الظَّنِّ ... بِاللَّهِ، وَالتَّمَنِّي

٤٢. فَعَالِمُ الْغُيُوبِ ... وَغَافِرُ الذُّنُوبِ

٤٣. وَكَاشِفُ الْكُرُوبِ ... وَشَاهِدُ الْقُلُوبِ

٤٤. اللَّهُ دُونَ شِرْكَ ... حَقًّا بِغَيْرِ شَكِّ

مراتب الدين

المرتبة الأولى: الإسلام: أركانه

٤٥. إِسْلَامُنَا السَّعَادَةَ ... أَوَّلُهُ الشَّهَادَةُ

معنى (لا إله إلا الله)

٤٦. لَا رَبَّ، لَا إِلَهَ ... بِالْحَقِّ إِلَّا اللَّهُ

معنى (محمد رسول الله)

٤٧. أَعْبُدْهُ بِمَا شَرَعَ ... رَسُولُهُ، وَمَا مَنَعَ

٤٨. أَتْرَكْهُ جَمِيعًا ... مُصَدِّقًا مُطِيعًا

بقية أركان الإسلام

٤٩. وَخَمَسْنَا نُصَلِّي ... وَمَالْنَا نُزَكِّي

٥٠. فِي رَمَضَانَ صَوْمُنَا ... لِبَيْتِ رَبِّي حَجُّنَا

المرتبة الثانية: الإيمان: أركانه

٥١. إِيْمَانُنَّا بِاللَّهِ ... الْوَاحِدِ الْإِلَهِ

٥٢. وَبَعْدُ بِالْمَلَائِكَةِ ... وَكُتُبِهِ الْمُبَارَكَةِ

٥٣. وَرُسُلِهِ، وَالْقَدَرِ ... وَيَوْمِهِ الْمَوْخَرِ

الإيمان بالملائكة

٥٤. مَلَائِكُكَ مِّنْ نُورٍ ... تَعْمَلُ بِالْمَأْمُورِ

٥٥. كَخَازِنِ الْجَنَانِ ... وَمَالِكِ النَّيْرَانِ

٥٦. مِكَالُ إِسْرَافِيلَ ... وَخَيْرُهُمْ جَبْرِيلُ

الإيمان بالكتب

٥٧. وَكُتُبُهُ الدُّسْتُورُ ... الصُّحُفُ وَالزَّبُورُ

٥٨. تَوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ ... وَهَيْمَنَ التَّنْزِيلُ

الإيمان بالرسل

٥٩. وَرُسُلُهُ بِالْحُتَمِ ... أَفْضَلُهُمْ ذُو الْعَزَمِ

٦٠. نُوحٌ فَأَبْرَاهِيمُ ... وَبَعْدَهُ الْكَلِيمُ

٦١. وَبَعْدَ عِيسَى الْمُصْطَفَى ... أَفْضَلُهُمْ وَالْمُنْتَهَى

الإيمان بالقدر

٦٢. وَقَدَرُ الْحَكِيمِ ... بِعِلْمِهِ الْعَمِيمِ

٦٣. فَكُتِبَهِ الْمُقَدَّرَا ... فَشَاءَهُ، ثُمَّ بَرَا

الإيمان المجل والمفضل

٦٤. نُؤْمِنُ بِالْمُقَصِّلِ ... فِيْمَا مَضَى وَالْمُجْمَلِ

المرتبة الثالثة: الإحسان

٦٥. وَالِدَيْنِ يَا إِخْوَانُ ... قِمَّتُهُ الْإِحْسَانُ

٦٦. أَنْ يُعْبَدَ الْإِلَهُ ... كَأَنَّنَا نَرَاهُ

٦٧. أَوْ نُوقِنَ الْإِيقَانَ ... بِأَنَّهُ يَرَانَا

حقيقة الإيمان ومسماه

٦٨. إِيْمَانُ بِاللِّسَانِ ... وَالْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ

٦٩. يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ ... يَقِلُّ بِالزَّلَّاتِ

٧٠. وَلْتَحْذَرْ الْإِرْجَاءَ ... وَالشَّرْكَ وَالرِّيَاءَ

خوارم الإيمان والتوحيد

٧١. وَلَا تُكْفِّرْ مُسْلِمًا ... بِالذَّنْبِ مَهْمَا عَظُمَا

٧٢. مَا لَمْ يُصِبْ مُكْفِّرًا ... وَالْخَارِجِيَّ فَاحْذَرَا

عذاب القبر ونعيمه

٧٣. نُؤْمِنُ بِالْقِيَامَةِ ... وَالْقَبْرِ فِي الْبِدَايَةِ

٧٤. سُؤَالِهِ، وَضَمَّتِيهِ ... عَذَابِهِ وَنِعْمَتِيهِ

البعث والحشر

٧٥. فَالْبَعْثُ ثُمَّ الْحَشْرُ ... عَلَى اخْتِلَافِ الْقَدْرِ

الشفاعة الكبرى

٧٦. فَيَشْفَعُ النَّبِيُّ ... مَقَامُهُ الْعَلِيِّ

الحساب

٧٧. فَيُنْشَرُ الْكِتَابُ ... وَيَبْدَأُ الْحِسَابُ

٧٨. بِالْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ ... وَالْفَضْلِ وَالْغُفْرَانِ

الأهوال والجنة والنار

٧٩. نُؤْمِنُ بِالْظُّلَالِ ... وَالْحَوْضِ وَالْأَهْوَالِ

٨٠. وَالْجِسْرِ وَالنَّيِّرَانِ ... وَالْخُلْدِ وَالْجَنَانِ

رؤية المؤمن لله

٨١. وَرُؤْيَا الْأَبْرَارِ ... بِالْعَيْنِ لِلْجَبَّارِ

حق الله وشرط صحة العمل

٨٢. نُوحِدُ الْقَهَّارَ ... وَنَتَّبِعُ الْمُخْتَارَ

حق النبي ﷺ

٨٣. تَعْظِيمُنَا لِلْمُصْطَفَى ... بِلَا غُلُوٍّ أَوْ جَفَا

حق الصحابة

٨٤. نُؤْمِنُ بِالتَّكْرِيمِ ... وَالْحُبِّ وَالتَّسْلِيمِ

٨٥. لِأَلِهِ وَصَحْبِهِ ... وَزَوْجِهِ، وَحِزْبِهِ

٨٦. سُبْحَانَهُ فَضْلَهُمْ ... رَبِّي كَمَا اسْتَخْلَفَهُمْ

٨٧. نَكْفُ عَمَّا شَجَرَا ... بَيْنَهُمْ، وَمَا جَرَى

حق الوالدين والعلماء والأقارب

٨٨. نَبْرُ وَالِدَيْنَا ... وَالْعُلَمَاءِ لَدَيْنَا

٨٩. وَالصَّالِحِ الْوَلِيَّاءِ ... الْمُؤْمِنِ التَّقِيَّاءِ

٩٠. وَنُكْرِمُ الْإِخْوَانَا ... وَالْأَهْلَ وَالْجِيرَانَا

لزوم الجماعة وطاعة ولي الأمر

٩١. وَنَلْزِمُ الْجَمَاعَةَ ... وَالنُّصْحَ وَالْإِطَاعَةَ

٩٢. لِأَوْلِيَاءِ الْأَمْرِ ... فِي مَنْشَطٍ أَوْ عُسْرِ

٩٣. فِي غَيْرِ مَا عَصِيَانٍ ... وَلِنَدْعُ لِلسُّلْطَانِ

الولاء والبراء

٩٤. وَالْمُسْلِمِينَ وَالْهَيْمَ ... وَالْكَافِرِينَ عَادِيهِمْ

٩٥. بِالْحُبِّ وَالْإِسْعَافِ ... وَالْبُغْضِ وَالْإِنْصَافِ

مكارم الأخلاق

٩٦. وَلِتَحْفَظِ اللِّسَانَ ... وَطَهِّرِ الْجَنَانَ

٩٧. وَاصْبِرْ لِأَجْلِ الْحَقِّ ... وَكُنْ جَمِيلَ الْخُلُقِ

٩٨. سَهْلًا حَلِيمًا رَاحِمًا ... جَلَدًا كَرِيمًا حَازِمًا

٩٩. مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ ... مَفَاتِيحُ الْأَرْزَاقِ

١٠٠. وَتَرْفَعِ الْإِنْسَانَ ... وَتُثْقِلُ الْمِيزَانَ

♦ الخاتمة

١٠١. تَمَّتْ بِحَمْدِ رَبِّي ... حَبِيبَةً لِقَلْبِي

١٠٢. حَاوِيَةَ الْأُصُولِ ... مَأْمُولَةَ الْقُبُولِ

١٠٣. أَحْيَا بِهَا حَيَاتِي ... أَرْجُو بِهَا نَجَاتِي

١٠٤. يَا رَبِّ يَسِّرْ عِلْمَهَا ... وَشَرِّحْهَا وَفَهِّمَهَا

١٠٥. وَارْحَمْ مَنْ اعْتَنَى بِهَا ... وَاشْرِكْهُ فِي ثَوَابِهَا

١٠٦. وَالْحَمْدُ لِلْحَمِيدِ ... خَاتِمَةُ الْقَصِيدِ

المقدمة

١. الْحَمْدُ لِلْعَظِيمِ ... الْوَاحِدِ الْكَرِيمِ

٢. مُصَلِّيًّا مُسَلِّمًا ... عَلَى الرَّسُولِ مُكْرِمًا

٣. وَالْأَلِ وَالْأَصْحَابِ ... وَبَعْدُ: يَا أَحْبَابِي

كما هي عادة أهل العلم افتتح الناظم -وفقه الله- منظومته بالحمد، اقتداء بالكتاب العزيز وبسنة النبي ﷺ، وهو أدب الأنبياء والعلماء، فالحمد يجمع الثناء على الله تبارك وتعالى مع محبته وتعظيمه.

ووصفه بـ (العظيم) إشارة إلى جلاله، وبـ (الواحد) تقريرٌ للتوحيد، وبـ (الكريم) تذكيرٌ بسعة فضله وجوده.

فكان الناظم يقول: نبدأ العلم من بابه، ومن أعظم أبوابه تعظيمُ الربِّ وتوحيده.

مُصَلِّيًّا مُسَلِّمًا ... عَلَى الرَّسُولِ مُكْرِمًا

وبعد الثناء على الله تبارك وتعالى، تأتي الصلاة على النبي ﷺ، والجمع بين الصلاة والسلام يدلّ على كمال الأدب معه ﷺ، ووصفه بـ (مُكْرِمًا) يُذكر بمكانته العالية وفضله على الأمة، فالتكريم من الله لمكانته الجليلة.

وَالْأَلِ وَالْأَصْحَابِ ... وَبَعْدُ: يَا أَحْبَابِي

ثم ختم المقدّمة بالدعاء للآل والأصحاب، وفيه إشارة إلى منهج السلف في محبتهم لآل بيت النبي ﷺ والصحابة الكرام والاعتراف بفضلهم.

ثم انتقل بخطابٍ لطيف إلى القارئ بقوله: (يا أحبابي)، وهذا أسلوب يفتح القلب ويؤيّن النفس لتلقّي العلم بروحٍ محبةٍ غير مُتكلّفة.

الخلاصة

المقدمة تجمع بين:

- توحيد الله وتعظيمه، والثناء عليه سبحانه.
- وتوقير النبي ﷺ.
- ومحبة آل والصحابة.
- ولطف الخطاب مع المتعلم.

اسم المنظومة، وموضوعها

٤. فَهَذِهِ (الْبَيْضَاءُ) ... مَنْظُومَةٌ حَسَنَاءُ

٥. عَلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ ... وَهِيَ النَّجَاةُ لِلْخَلْفِ

يُعرِّفُ الناظم بمنظومته، ويُسمِّيها (البيضاء)، اقتداءً بحديث النبي ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»، ومن يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وَإِنْ عَبْدًا حَبِشِيًّا، فإنما المؤمن كالجمل الأنفِ حَيْثُمَا انْقَادَ» رواه أحمد (١٧١٤٢)، وأيضاً كأنه يُشير إلى صفائها ونقاها من شوائب الانحراف، فهي بيضاء في لفظها ومعناها.

ووصفها بـ (حسناء) يُضفي عليها جمالاً أدبيّاً، وكأنّ العلم إذا صيغ شعراً صار أحلى وأقرب إلى النفس.

وهنا يُصرِّح بموضوع المنظومة: (عقيدة السلف)، وهي العقيدة التي تلقّاها الصحابة عن النبي ﷺ، ثم نقلها التابعون ومن بعدهم إلينا.

وقوله: (وهي النجاة للخلف) تقريرٌ مهم؛ فالسلف لم يكونوا مدرسة تاريخية، بل منهجاً مستمراً، من سار عليه نجا، ومن أعرض عنه من الخلفِ ضلّ.

فكانّ الناظم يقول: هذه المنظومة ليست مجرد أبيات، بل طريق نجاة لمن جاء بعد السلف.

الخلاصة

الأبيات تُعرّف المنظومة وتُعلن منهجها بوضوح:

- صفاء في الاسم.
- وجمال في الأسلوب.
- وتمسكٌ بعقيدة السلف التي هي سفينة النجاة لكل من جاء بعدهم.

مصادر التلقي

١. قُرْآنُنَا وَالسُّنَّةُ ... بِفَهْمِ خَيْرِ الْأُمَّةِ
٢. أَكْرَمَ بِهِمْ مِّنْ سَلَفٍ ... فَأَعْضَضَ عَلَيْهِمْ وَاقْتَفَى
٣. وَكُنْ لَهُمْ مُتَّبِعًا ... لَا زَائِعًا مُبْتَدِعًا

قُرْآنُنَا وَالسُّنَّةُ ... بِفَهْمِ خَيْرِ الْأُمَّةِ

يؤكد الناظم أصل الأصول في مصادر التلقي:

فالقرآن والسنة هما الوحي المعصوم، وهما المصدر الذي لا يُقبل غيره في الاعتقاد والدين.

والناظم أكدَّ الفهم بقوله: «بِفَهْمِ خَيْرِ الْأُمَّةِ»، وهم الصحابة رضي الله عنهم، لأنهم:

- شهدوا التنزيل.
- وتلقوا العلم من النبي ﷺ.
- ورأوا التطبيق العملي للدين.
- ونقلوا لنا العقيدة صافية بلا تحريف.

فلا يقول الإنسان: "أتبع القرآن والسنة"، حتى يلتزم فهم الصحابة، لأن الانحراف يبدأ من

سوء الفهم، لا من ترك النصوص.

أَكْرَمَ بِهِمْ مِّنْ سَلَفٍ ... فَأَعْضَضَ عَلَيْهِمْ وَاقْتَفَى

ثم ينتقل الناظم من المصدر إلى القدوة.

فالسلف الصالح - الصحابة والتابعون وأئمة الهدى - هم الامتداد القويم لفهم النبي ﷺ.

وقوله: «أكرم بهم» تعظيم لشأنهم، واعتراف بفضلهم، وأنهم خير القرون كما قال النبي ﷺ.

ثم تأتي الوصية العظيمة: «فَاعْضُضْ عَلَيْهِمْ واقتفِ»، أي: تمسك بمنهجهم تمسكاً شديداً، كما يعض الإنسان على الشيء بالنواجذ، واقتد بهم في الاعتقاد والعمل والسلوك. «وكن لهم مُتَّبِعاً»، أي: الزم طريقهم، ولا تخرج عنه، ولا تُقدِّم رأياً أو هوى أو فلسفة على ما كانوا عليه.

وَكُنْ لَهُمْ مُتَّبِعًا ... لَا زَائِغًا مُبْتَدِعًا

ثم يُحذِّر الناظم من أخطر ما يُفسد الدِّين بقوله: «لا زائغاً مبتدعاً»، فالزيغ هو الانحراف عن الصراط، والابتداع هو ما أحدث في الدِّين بلا دليل.

الخلاصة

- القرآن والسنة هما المصدر الأول، بفهم الصحابة رضي الله عنهم.
- السلف الصالح هم القدوة العملية لفهم الدِّين، وما قالوه هو الحق الذي لا ريب فيه.
- الاتباع هو الطريق القويم، والابتداع هو طريق الانحراف والزيغ.

الأصول الثلاثة

الأصل الأول: معرفة العبد ربه

٤. مَنْ رَبَّنَا الرَّحْمَنُ ... مَعْبُودُنَا الْمَنَّانُ

٥. اللَّهُ رَبُّ الْخَلْقِ ... يُمِدُّنَا بِالرِّزْقِ

مَنْ رَبَّنَا الرَّحْمَنُ ... مَعْبُودُنَا الْمَنَّانُ

هذا البيت يفتح الأصل الأول بأوضح عبارة: معرفة الربِّ بأسمائه وصفاته.

فالرحمن: اسم يدل على الرحمة الواسعة التي عمت الخلق كلهم.

والمَنَّان: كثير العطاء، كثير الإحسان، الذي يمنُّ بالنعيم قبل أن تُطلب.

فالناظم يُقرر أن ربَّنَا هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، وأن معبودنا هو المَنَّان الذي لا يُعبد إلا هو، ولا يُسأل إلا هو، ولا يُرجى إلا هو.

وهذا البيت يجمع بين:

- توحيد الربوبية: (من ربَّنَا؟)

- توحيد الألوهية: (من نعبد؟)

فكأنه يقول: اعرف ربك بأسمائه، واعبده وحده بلا شريك.

الله رَبُّ الْخَلْقِ ... يُمِدُّنَا بِالرِّزْقِ

ثم في البيت التالي يشرح معنى الربوبية بأوضح صورها:

(الله رَبُّ الْخَلْقِ)، لا رَبَّ غَيْرُهُ، ولا خَالِقَ سِوَاهُ.

ثم يذكر أعظم آثار الربوبية: (يُمِدُّنَا بِالرِّزْقِ)، أي: هو الذي يرزق، وَيُعْطِي، ويمنح، وَيُقَدِّرُ، ويقسم، وَيُغْنِي.

وهذا البيت يربط بين: الخلق، والملك، والرزق، والتدبير، وهي أركان توحيد الربوبية.

فكأن الناظم يقول: إذا عرفت أن الله هو الخالق الرازق المدبّر، فلا تتعلّق إلا به، ولا تخف إلا منه، ولا تطلب إلا منه.

الخلاصة

- معرفة الله تكون بأسمائه وصفاته: الرحمن، المتّان.
- الله هو رَبُّ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، لا رَبَّ غَيْرِهِ.
- الله هو الرازق، وكل رزق يصل إلى العبد فهو منه وحده.
- هذه المعرفة هي أساس عقيدة السلف، وهي أول واجب على العبد.

الأصل الثاني: معرفة العبد دينه

٦. وَدِينُنَا الْإِسْلَامُ ... مَعْنَاهُ الْإِسْتِسْلَامُ

٧. لِلَّهِ طَائِعِينَ ... حَقًّا مُوَحِّدِينَ

هنا شرع الناظم -وفقه الله- في بيان الأصل الثاني، وهو معرفة دين الإسلام، فقرر أن الإسلام ليس مجرد اسم يُقال، ولا انتساب يُدعى، بل هو استسلامٌ كامل لله تبارك وتعالى، وخضوعٌ لأمره، وتركٌ لمعصيته، ورضًا بحكمه، وانقيادٌ لشرعه.

وهذا هو تعريف العلماء للإسلام:

طاعةٌ لله، وانقيادٌ لأمره، وتركٌ للهوى.

ثم يشرح الناظم معنى الاستسلام المذكور في البيت السابق، ويبين أن الإسلام الحقيقي هو: طاعةٌ لله مقرونةٌ بالتوحيد.

- (طائعين لله): أي نمثل أوامرهم، ونجتنب نواهيه، ونخضع لشرعه.

- (حقًا موحدين): أي نعبد وحده، لا شريك له، لا نصرف العبادة لغيره، ولا نتعلق إلا به.

الخلاصة

- الإسلام هو الاستسلام لله ظاهرًا وباطنًا.
- لا يكون الإسلام صحيحًا إلا مع التوحيد.
- ولا يكون التوحيد صحيحًا إلا مع الطاعة.
- فالإسلام استسلامٌ بالقلب: إيمانًا و يقينًا، واستسلامٌ باللسان: نطقًا بالشهادة، واستسلامٌ بالجوارح: طاعةً وانقيادًا.

وهذا هو دين السلف: اتباعٌ بلا ابتداء، وطاعةٌ بلا تردد، وتوحيدٌ بلا شرك.

الأصل الثالث: معرفة العبد نبيه

٨. ثُمَّ مَنِ النَّبِيِّ؟ ... مُحَمَّدُ الزَّكِيِّ

٩. مُرْشِدُنَا لِلَّهِ ... هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ

١٠. صَلِّ وَسَلِّمْ -رَبِّي- ... عَلَى حَبِيبِ الْقَلْبِ

يقرر الناظم أن معرفة النبي ﷺ ليست مجرد معرفة اسمه، بل معرفة صفاته، وسيرته، ونبوته، ورسالته، وأنه هو النبي الخاتم الذي لا نبي بعده.

فالنبي محمد ﷺ هو أعظم البشر، وخير الخلق، وأطهرهم قلباً، وأنقاهم سريرةً، ولذلك وصفه الناظم بـ «الزَّكِيِّ»، أي: الطاهر المبارك، الذي زكاه الله في خلقه وحُلقه.

فكأن الناظم يقول: إذا أردت النجاة، فاعرف نبيك معرفةً تليق بمقامه، فهو محمد الزَّكِيُّ، صفوة الخلق، وخاتم الأنبياء.

ثم في البيت التالي يربط بين الرسالة والنسب:

مُرْشِدُنَا لِلَّهِ ... هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ

- (مُرْشِدُنَا لِلَّهِ): أي أنه الدليل إلى الله، والهادي إلى الصراط المستقيم، والمبلغ عن الله، فلا طريق إلى الله إلا من خلاله، ولا نجاة إلا باتباعه، ولا هداية إلا بهديه.

- (هو ابن عبد الله): ذَكَرَ نسبه الشريف؛ لأن معرفة نسب النبي ﷺ جزء من معرفته، ولأن نسبه من أطهر الأنساب، ولأن السلف كانوا يعتنون بمعرفة نسبه كما يعتنون بمعرفة سيرته.

وهذا البيت يُقرر قاعدة عظيمة:

الهداية لا تكون إلا باتباع النبي ﷺ، لا بالآراء، ولا بالأهواء، ولا بالابتداع.

صَلِّ وَسَلِّمْ - رَبِّي - ... عَلَى حَبِيبِ الْقَلْبِ

ثم بعد أن عرفت النبي ﷺ، يأتي الأمر بالصلاة والسلام عليه، وهذا من أعظم القربات، وهو واجب شرعي، وهو علامة محبة النبي ﷺ.

ووصفه بـ «حبيب القلب» هو وصفٌ يليق بمقامه؛ لأن محبته أصلٌ من أصول الإيمان، كما قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» رواه مسلم (٤٤).

فكأن الناظم يقول: معرفة النبي ﷺ تقود إلى محبته، ومحبة النبي ﷺ تقود إلى الصلاة والسلام عليه، والصلاة عليه تقود إلى اتباعه.

الخلاصة

- معرفة النبي ﷺ تكون باسمه، ونسبه، وصفاته، وسيرته، ورسالته.
- النبي ﷺ هو المرشد الداعي إلى الله تبارك وتعالى، فلا هداية إلا باتباعه.
- محبته أصلٌ من أصول الإيمان، والصلاة عليه من أعظم القربات.
- هذا هو منهج السلف: معرفة، ومحبة، وصلاة، واتباع.

التوحيد وأنواعه

الغاية من خلق الخلق

١١. خُلِقْتُ لِلتَّوْحِيدِ ... وَطَاعَةِ الْمَجِيدِ

هذا البيت يختصر الغاية من وجود الإنسان في كلمتين:

التوحيد والطاعة.

وهذا هو عين ما قرره القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]، أي: لِيُوحِّدُوا اللَّهَ، ويعبدوه وحده، وينقادوا لأمره.

قوله: «خُلِقْتُ لِلتَّوْحِيدِ»، أي: أن الغاية الأولى من وجودك هي أن تُفرد الله بالعبادة، وألا تصرف شيئاً منها لغيره، وأن يكون قلبك معلقاً به وحده، لا بالأولياء، ولا بالأضرحة، ولا بالأسباب، ولا بالأهواء.

فالتوحيد هو:

- غاية الخلق.
 - وأول واجب على العبد.
 - وأعظم ما يُسأل عنه يوم القيامة.
- قوله: «وَطَاعَةِ الْمَجِيدِ»، بعد التوحيد تأتي الطاعة، لأن التوحيد بلا طاعة دعوى ناقصة، والطاعة بلا توحيد عمل مردود.
- والمجيد هو الله جلّ جلاله، الكامل في صفاته، العظيم في ذاته، الذي يستحق أن يُطاع أمره، ويُجتنب نهيه، ويُتبع شرعه.

فكأن الناظم يقول: خُلِقْتُ لأُوْحِدَ اللَّهَ، ثم أطيعه، لا لأتبع هواي، ولا لأعيش بلا غاية.

الخلاصة

- الغاية من خلق الإنسان هي التوحيد أولاً، ثم الطاعة ثانياً.
- لا يتحقق التوحيد إلا بالطاعة، ولا تُقبل الطاعة إلا بالتوحيد.
- هذا هو منهج السلف: عبوديةٌ كاملةٌ لله تبارك وتعالى، قلباً وقالباً، ظاهراً وباطناً.

النوع الأول: توحيد الربوبية

١٢. فَأَفْرِدُ الْخَلَاقَا ... بِفِعْلِهِ الرَّزَاقَا

١٣. مُدَبِّرٌ وَنَافِعٌ ... وَمَالِكٌ وَرَافِعٌ

يقرر الناظم أن توحيد الربوبية هو: إفراد الله بأفعاله.

- (الْخَلَاقَا): أي الخالق وحده، الذي خلق كل شيء، لا خالق غيره، ولا شريك له في الخلق.

- (الرَّزَاقَا): أي الذي يرزق عباده، ويقسم أرزاقهم، ويُعطي ويمنع، ويُغني ويُفقر، لا رازق غيره.

فالناظم يقول: أفرد الله وحده بأفعال الخلق والرزق، فلا أعتقد أن أحداً يخلق أو يرزق أو يُحيي أو يُميت إلا هو.

وهذا هو تعريف لتوحيد الربوبية:

إفراد الله بأفعاله كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والتدبير.

ثم يشرح الناظم تفاصيل الربوبية، ويُعَدِّد بعض أفعال الله التي لا يشاركه فيها أحد:

- (مُدَبِّر): أي أنه يُدَبِّر أمر الخلق كلهم، من السماء إلى الأرض، من حياة الإنسان إلى حركة الذرة.

- (نافع): أي أن النفع كله منه، لا يملك أحد أن ينفعك إلا بإذنه.

- (مالك): أي أنه مالك المُلْك، ومالك النفوس، ومالك يوم الدِّين.

- (رافع): أي أنه يرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، ويرفع أقوامًا بالطاعة، ويخفض آخرين بالمعصية.

فكأن الناظم يقول: إذا عرفت أن الله هو المدبّر والنافع والمالك والرافع، فلا تتعلّق إلا به، ولا تخف إلا منه، ولا ترجُ إلا فضله.

الخلاصة

- توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله.
- الله هو الخالق وحده، لا خالق غيره.
- الله هو الرازق وحده، لا رازق غيره.
- الله هو المدبّر، والمالك، والرافع والنافع.
- هذا التوحيد هو الأساس الذي يُبنى عليه توحيد الألوهية.

النوع الثاني: توحيد الألوهية

١٤. مُعْتَقِدًا إِفْرَادَهُ ... بِالْقَصْدِ وَالْعِبَادَةِ

١٥. كَالذَّبْحِ وَالصَّلَاةِ ... وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ

١٦. وَالنَّذْرِ وَالِدُّعَاءِ ... وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ

١٧. وَصَرَفُهَا لِغَيْرِهِ ... شِرْكٌ خِلَافُ أَمْرِهِ

مُعْتَقِدًا إِفْرَادَهُ ... بِالْقَصْدِ وَالْعِبَادَةِ

هذا البيت يضع تعريفاً جامعاً لتوحيد الألوهية:

إفراد الله بالقصد والعبادة.

- القصد: أي أن يكون قصد القلب لله وحده، فلا يُريد بعمله إلا وجه الله، لا رياءً ولا سُمعةً ولا طلباً دنياءً.

- العبادة: أي أن تكون كل أعمال الجوارح لله وحده، فلا تُصرف صلاة ولا سجود ولا دعاء ولا ذبح لغيره.

فالناظم يُقرر أن توحيد الألوهية هو: إفراد الله بالمحبة، والخوف، والرجاء، والدعاء، والعبادة كلها.

وهذا هو التوحيد الذي جاءت به الرسل، وهو معنى قول: لا إله إلا الله.

ثم يذكر الناظم نماذج عملية للعبادات التي يجب إفراد الله بها:

- الذبح: لا يجوز أن يُذبح لغير الله، لا لقبر، ولا لولي، ولا لجن، ولا لشيء من المخلوقات.

- الصلاة: أعظم العبادات، ولا تُصرف إلا لله.

- الحج: لا يُقصد به إلا وجه الله، ولا يُطاف إلا ببيته.

- الزكاة: عبادة مالية، لا تُعطى تقرباً إلا لله.

- النذر: عبادة، فلا يجوز أن يُنذر لغير الله.

- الدعاء: هو العبادة كما قال النبي ﷺ، فلا يُدعى إلا الله.

هذه أمثلة، والمقصود: كل عبادة يجب أن تكون لله وحده، لا شريك له.

ثم ينتقل الناظم من العبادات الظاهرة إلى العبادات القلبية:

- الخوف: خوف العبادة لا يكون إلا لله، لا خوفاً من قبر أو ولي أو جنّ.

- الرجاء: لا يُرجى كشف الضرّ ولا جلب النفع إلا من الله.

فالناظم يُقرر أن التوحيد يشمل: العبادات العملية، والعبادات القلبية.

وكلاهما يجب أن يكون لله وحده.

وَصَرَفُهَا لِغَيْرِهِ ... شِرْكٌ خِلَافُ أَمْرِهِ

هذا البيت هو خلاصة الباب كله:

- صرف أي عبادة لغير الله = شرك.

سواء كانت:

- دعاء أو ذبحاً أو نذراً أو خوفاً أو رجاء أو صلاة أو غيرها.

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

﴿سورة الكهف: ١١٠﴾.

فالناظم يُقرر قاعدة العظيمة:

العبادة إذا صُرِفَتْ لغير الله فهي شرك أكبر يخرج من الملة.

الخلاصة

- توحيد الألوهية هو: إفراد الله بالقصد والعبادة.
- يشمل العبادات الظاهرة: كالصلاة، الذبح، الحج، الزكاة.
- ويشمل العبادات القلبية: كالدعاء، الخوف، الرجاء، النذر.
- صرف أي عبادة لغير الله هو شرك أكبر.
- هذا هو التوحيد الذي جاءت به الرسل، وهو معنى لا إله إلا الله.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات: قاعدة الأسماء والصفات

١٨. لَهُ وَصِفَاتُهُ الْعُلَا ... وَأَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى بِلَا

١٩. تَحْرِيفٍ أَوْ تَعْطِيلٍ ... تَكْيِيفٍ أَوْ تَمَثِيلٍ

يقرر الناظم أصلاً عظيمًا: أن لله أسماءً حسنى، وصفاتٍ عليا، تليق بجلاله وكماله.

- (صِفَاتُهُ الْعُلَا): أي الصفات الكاملة العليا، التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، مثل: العلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعلو، والكلام، والإرادة.

- (أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى): هي الأسماء التي سمى الله بها نفسه، وكلها حسنى، أي: بالغة في الحسن غاية.

وهذا البيت يُقرر القاعدة الشرعية العظيمة عند السلف:

نثبت لله ما أثبتته لنفسه، وما أثبتته له رسوله ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان.

فكأن الناظم يقول: الله تبارك وتعالى له أسماء كاملة، وصفات كاملة، نثبتها كما جاءت، بلا تحريف ولا تعطيل.

تَحْرِيفٍ أَوْ تَعْطِيلٍ ... تَكْيِيفٍ أَوْ تَمَثِيلٍ

ثم يذكر الناظم قاعدة السلف الكبرى في باب الصفات، وهي قاعدة تُسمى عند العلماء:

قاعدة التنزيه بلا تعطيل، والإثبات بلا تمثيل.

وهي أربعة محاذير يجب اجتنابها:

(١) التحريف: هو تغيير اللفظ أو المعنى، مثل من يقول:

- استوى = استولى - اليد = القدرة - النزول = نزول أمره

وهذا تحريف لمعاني الصفات.

(٢) التعطيل: هو نفي الصفات أو إنكارها، مثل من يقول:

- الله لا يتكلم. - والله لا يرى. - والله ليس له صفات فعلية.

هذا كله تعطيل لما وصف الله به نفسه.

(٣) التكييف: هو أن يسأل الإنسان عن كيفية صفة الله، فيقول:

- كيف ينزل؟ - كيف استوى؟ - كيف يجيء؟

والسلف يقولون: الكيف مجهول، والإيمان بالصفة واجب.

(٤) التمثيل: هو تشبيه صفات الله بصفات خلقه، مثل من يقول:

- يده كيدنا. - نزوله كنزولنا.

وهذا باطل، لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: ١١].

الخلاصة

- إثبات بلا تمثيل: نثبت الصفات كما جاءت، بلا تشبيه.
- تنزيه بلا تعطيل: ننزه الله عن مشابهة خلقه، بلا نفي لصفاته.
- إمرار بلا تكييف: نمر الصفات كما جاءت، بلا سؤال عن الكيفية.
- قبول بلا تحريف: نقبل النصوص كما هي، بلا تغيير ولا تحريف لمعانيها.

هذه القاعدة هي التي قال فيها الإمام مالك رحمه الله:

الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

صفات الله قسمان: ذاتية وفعلية

٢٠. فَرَبُّنَا عَظِيمٌ ... وَوَجْهُهُ كَرِيمٌ

٢١. فَوْقَ السَّمَاءِ قَدْ عَلَا ... حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

٢٢. وَيَنْزِلُ الْغَقَّارُ ... إِذَا تَجِي الْأَسْحَارُ

٢٣. ذُو الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا ... إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

فَرَبُّنَا عَظِيمٌ ... وَوَجْهُهُ كَرِيمٌ

هذا البيت يجمع بين صفتين ذاتيتين:

- «ربُّنا عظيم»: هذه صفة ذاتية؛ لأن العظمة صفة ملازمة لذات الله، لا تنفك عنه، ولا تتعلق بالمشيئة، بل هو العظيم دائماً وأبداً سبحانه.

- «ووجهه كريم»: إثبات الوجه لله صفة ذاتية أيضاً، أثبتها القرآن والسنة، وهي صفة تليق بجلاله، بلا تمثيل ولا تكييف.

فكان الناظم يقول: نثبت لله صفات الذات كما جاءت، بلا تحريف ولا تعطيل.

فَوْقَ السَّمَاءِ قَدْ عَلَا ... حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

هذا البيت من أعظم أبواب العقيدة، وفيه إثبات صفتين:

- العلو: وهي صفة ذاتية ثابتة لله، فهو العليّ بذاته فوق خلقه، كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [سورة النحل: ٥٠].

- والاستواء على العرش: وهي صفة فعلية؛ لأنها تتعلق بمشيئة الله، وقد أخبر بها في سبعة مواضع من القرآن.

والاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فالناظم يُقرر قاعدة السلف: الله فوق خلقه، مستوٍ على عرشه، علوًا يليق بجلاله، بلا تكييف ولا تمثيل.

وَيَنْزِلُ الْغَفَّارُ... إِذَا تَجَّى الْأَسْحَارُ

هنا يذكر الناظم صفة فعلية عظيمة، وهي:

- النزول الإلهي: وهو نزولٌ يليق بجلال الله، لا يشبه نزول المخلوقين، ولا يُسأل عن كيفيته. وقد ثبت في الحديث الصحيح: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ» رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

وهذه الصفة من صفات الأفعال؛ لأنها تتعلق بمشيئة الله، وتكون في وقت دون وقت.

فكأن الناظم يقول: نثبت النزول كما جاء، بلا تأويل ولا تعطيل.

ذُو الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا... إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

هذا البيت يكمل معنى النزول:

- «ذو الدرجات العليا»: يهبها لعباده الصالحين بحسب أعمالهم ونيّاتهم.
- «إلى السماء الدنيا»: إثباتٌ للنزول الإلهي، وهو صفة فعلية كما سبق، تتعلق بمشيئته، وتكون في وقت محدد.

وهذا البيت يُقرر قاعدة السلف: الله عالٍ في ذاته، ينزل كيف شاء، بلا تشبيه ولا تكييف.

الخلاصة

- الصفات الذاتية: هي التي لا تنفك عن الله، مثل: العظمة، والوجه، واليد، والسمع، والبصر، والعلو.
- الصفات الفعلية: هي التي يفعلها الله متى شاء، مثل: النزول، والاستواء، والمجيء، والغضب، والرضا.

والقاعدة الجامعة:

نُثبت لله ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسولنا ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

من صفاته: كلامه، ومنه القرآن

٢٤. قُرْآنُهُ الْمُرْتَّلُ ... كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ

٢٥. وَلَيْسَ بِالْمَخْلُوقِ ... أَوْ نَاقِصٍ مَّلْحُوقٍ

يقرر الناظم أصلاً عظيمًا، وهو أن:

القرآن كلام الله، مُنَزَّلٌ غير مخلوق.

- «قُرْآنُهُ الْمُرْتَّلُ»: أي: القرآن الذي يُتلى ويُرْتَل، كما أمر الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [سورة المزمل: ٤]، فالترتيل عبادة، لأنه كلام الله.

- «كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ»: هذا هو الأصل العقدي:

القرآن كلام الله حقيقة، تكلم الله به، وسمعه جبريل منه، ثم نزل به على قلب النبي ﷺ.

وهذا يوافق قول السلف:

القرآن كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود.

فكأن الناظم يقول: القرآن ليس كلام بشر، ولا كلام ملك، بل كلام الله المنزل على رسوله ﷺ.

وَلَيْسَ بِالْمَخْلُوقِ ... أَوْ نَاقِصٍ مَّلْحُوقٍ

هذا البيت يردّ على أحد أخطر البدع التي ظهرت في التاريخ:

وهي بدعة القول بأن القرآن مخلوق.

- «وليس بالمخلوق»: هذه عقيدة السلف بلا خلاف:

القرآن غير مخلوق، لأنه صفة من صفات الله، وصفات الله غير مخلوقة.

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: من قال القرآن مخلوق فهو كافر.

- «أو ناقصٍ ملحق» أي: ليس القرآن ناقصًا، ولا يلحقه نقص، ولا يعتريه خلل، ولا يضاف إليه شيء.

فهو كامل، محفوظ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩].
فكأن الناظم يقول: القرآن كامل، محفوظ، غير مخلوق، لا نقص فيه، ولا زيادة، ولا تحريف.

الخلاصة

- القرآن كلام الله، تكلم الله به حقيقة.
 - القرآن منزل غير مخلوق، وهذا هو إجماع السلف.
 - القرآن كامل محفوظ، لا يلحقه نقص ولا زيادة.
 - من قال إن القرآن مخلوق فقد خالف أمر الله، وخرج عن عقيدة السلف.
- هذه العقيدة هي التي ثبتت الله عليها الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن، وهي التي عليها أهل السنة إلى يوم القيامة.

حماية جناب التوحيد

٢٦. فَلْتَحْمَيْنَ جَنَابَهُ ... وَطَهِّرَنَّ رَحَابَهُ

هذا البيت يُقرر قاعدة شرعية عظيمة في باب التوحيد، وهي:

أن التوحيد لا يتم إلا بحمايته من كل ما يُفسده أو يُنقصه.

«فَلْتَحْمَيْنَ جَنَابَهُ»: أي: احمِ حدود التوحيد، وصُنِّ حِمَاهُ، وادفع عنه كل ما يقرب من الشرك، ولو كان صغيراً.

وهذا يشمل:

- حماية التوحيد من الشرك الأكبر.
- وحماية التوحيد من الشرك الأصغر.
- وحماية التوحيد من البدع.
- وحماية التوحيد من الوسائل الموصلة للشرك.

وهذا هو منهج الأنبياء، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ﴿٣٥﴾

[سورة إبراهيم: ٣٥] مع أنه خليل الرحمن، ومع ذلك خاف على نفسه الشرك، فكيف بغيره؟!

«وطَهِّرَنَّ رَحَابَهُ»: الرحاب: الساحات والمواضع.

أي: طهِّرْ ساحات التوحيد من كل ما يشوّهه أو يلوّثه، مثل:

- التعلّق بالقبور.
- والاستغاثة بالأولياء.
- والذبح لغير الله.
- والنذر لغير الله.
- والطواف بغير بيت الله.
- وتعليق التماثيل.
- وطلب البركة من الأحجار - والغلو في الصالحين.
- والذنوب والمعاصي.
- والأشجار.

وَمُرَادُ النَّاظِمِ أَنْ: التَّوْحِيدَ لَا يَكْفِي فِيهِ مَجْرَدُ التَّلَفُّظِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُطَهَّرَ مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ، وَيُحْيَى مِنْ كُلِّ دَخِيلٍ.

الخلاصة

- حماية التوحيد واجبٌ مثل تحقيقه.
- سدّ الذرائع الموصلة للشرك من أعظم قواعد الشريعة وعلى هذا عقيدة السلف.
- تطهير ساحات التوحيد يعني إزالة كل مظاهر الشرك والبدع.
- هذا هو معنى قول العلماء: التوحيد شجرة، وحمايته سياجها.

المناهي اللفظية

٢٧. وَاحْلِفْ بِرَبِّ الْخَلْقِ ... لَا بِالنَّبِيِّ وَالْخَلْقِ

٢٨. وَلَا تَقُلْ: (مُطَرَّنَا ... بِالنَّجْمِ، أَوْ أَخَصَبْنَا)

٢٩. وَ(رُبَّنَا قَدْ شَاءَا ... وَشِئْتُ)، لَا سَوَاءَا

٣٠. وَ(لَوْ) لَدَى التَّعَذُّرِ ... لِلذَّنْبِ، وَالتَّحَسُّرِ

٣١. وَالذَّهْرَ لَا تَسُبَّأَا ... وَالرَّيْحَ، تُؤْذِي الرِّبَّأَا

وَاحْلِفْ بِرَبِّ الْخَلْقِ ... لَا بِالنَّبِيِّ وَالْخَلْقِ

شرع الناظم هنا في بيان المناهي اللفظية، والمقصود بها: الألفاظ التي دلت النصوص على تجنب استعمالها، ويُقرر هذا البيت القاعدة الهامة: لا يجوز الحلف إلا بالله وحده.

- والحلف تعظيم، ولا يُعظَّم إلا الله تبارك وتعالى.

- والحلف بالنبي ﷺ أو بالكعبة أو بالأمانة أو بالأبواء حرام، وقد قال النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك» رواه الترمذي (١٥٣٥) وقال: حديث حسن، وإن اعتقد أن المحلوف به أعظم من الله فهو شرك أكبر مخرج من الملة، وإلا فهو شرك أصغر.

فكأن الناظم يقول: عظم ربك بالحلف، ولا تعظم أحداً من خلقه بهذا الباب.

وَلَا تَقُلْ: (مُطَرَّنَا ... بِالنَّجْمِ، أَوْ أَخَصَبْنَا)

هذا منهي عنه في السنة، وهو من كلام أهل الجاهلية.

- كانوا يقولون: مُطَرَّنَا بنوء كذا، أي: بسبب النجم الفلاني.

- وهذا شرك في السببية؛ لأنه يجعل النجم سبباً مستقلاً لجلب المطر.

والنبي ﷺ قال بعد نزول المطر: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر... فمن قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فهو المؤمن، ومن قال: مُطرنا بنوء كذا فهو الكافر بالنعمة» رواه البخاري (١٦٩) ومسلم (٥٩).

فكأن الناظم يقول: انسب النعمة لله، ولا تجعل النجوم وغيرها أسبابًا مستقلة.

و(رَبُّنَا قَدْ شَاءَ... وَشِئْتُ)، لَا سَوَاءَ

هذا شرك خفي كما قرره العلماء، ويُسمّى شرك الألفاظ.

- وقول: «ما شاء الله وشِئْتُ»: فيه تسوية بين مشيئة الله ومشيئة العبد.

- وقد نهى النبي ﷺ عنها، وقال لمن جعله لله ندًّا: «أجعلتني لله ندًّا؟ قل: ما شاء الله وحده» رواه أحمد (١٨٣٩)، أو: ما شاء الله ثم شِئْتُ، لأن «ثم» تفيد الترتيب والتراخي، لا التسوية.

فكأن الناظم يقول: لا تجعل مشيئة العبد مساوية لمشيئة الله، ولو في لفظٍ عابر.

و(لَوْ) لَدَى التَّعَذُّرِ... لِلذَّنْبِ، وَالتَّحَسُّرِ

«لو» لها استعمالان:

(١) «لو» المنهي عنها: وهي التي تُقال على وجه الاعتراض على القدر:

- لو لم أسافر لما حصل كذا.

- لو لم أفعل لما وقع كذا.

وهذا منهي عنه، قال ﷺ: «فإن لو تفتح عمل الشيطان» رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) «لو» الجائزة: وهي التي تُقال على وجه الاعتذار أو التحسّر دون اعتراض على القدر، مثل:

- لو حضرتُ لمساعدتكم.

- لو كنتُ أعلم لاحتطتُ.

وهذه جائزة لأنها لا تعترض على القدر.

فكأن الناظم يقول: اجتنب «لو» التي تعترض على القدر، ولا بأس بـ«لو» التي تأتي على وجه الاعتذار.

وَالدَّهْرَ لَا تَسْبَا ... وَالرَّيْحَ، تُؤْذِ الرَّبَّ

هذا البيت يجمع بين نهين:

سبّ الدهر: وهو منهي عنه؛ لأن سبّ الدهر يعود على الله، إذ هو الذي يُصَرِّف الدهر، قال ﷺ: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر» رواه مسلم (٢٢٤٦).

أي: هو الذي يُصَرِّف الليل والنهار، لا أن الدهر اسمٌ لله.

٢) سبّ الريح: وهو منهي عنه أيضاً، ولكن نسأل الله من خيرها ونعوذ بالله من شرها، قال ﷺ: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به» رواه الترمذي (٢٢٥٢) وقال: حديث حسن صحيح.

فكأن الناظم يقول: لا تسبّ شيئاً من مخلوقات الله، فإن سبها يعود على خالقها.

الخلاصة

- الحلف لا يكون إلا بالله.
 - نسبة المطر للنجوم شرك في السبب.
 - التسوية بين مشيئة الله ومشيئة العبد شرك لفظي.
 - «لو» المنهي عنها هي: التي تعترض على القدر.
 - سبّ الدهر والريح منهي عنه لأنه يعود على الله.
- هذه الألفاظ قد تبدو يسيرة، لكنها من الشرك الأصغر كما جاء في النصوص الشرعية، وهي أبواب مهمة تحفظ جناب التوحيد.

الغلو والتساهل في الدين

٣٢. أَوْ تَغْلُونَ فِي الدِّينِ ... أَوْ تُفْرِطْنَ فِي اللَّيْنِ

٣٣. أَوْ تُطْرَيْنَ نَبِيًّا ... أَوْ صَالِحًا وَلِيًّا

٣٤. أَوْ تَهْزَأْنَ بِاللَّهِ ... أَوْ دِينِهِ، يَا لَأَهِي

أَوْ تَغْلُونَ فِي الدِّينِ ... أَوْ تُفْرِطْنَ فِي اللَّيْنِ

هنا يؤكد الناظم على خطورة الغلو والتساهل في الدين، فالنجاه بين الغلو والتفريط.

- والغلو في الدين: تجاوز الحد، والزيادة على ما شرعه الله، مثل:

التشديد على النفس بما لم يأمر الله.

- والابتداع في العبادات.

- والغلو في الصالحين.

- والتكلف في الطاعات.

والنبي ﷺ يقول: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ» رواه ابن ماجه

(٣٠٢٩).

- والتفريط في الدين: أي التساهل في الدين، وترك الواجبات، وتضييع الحدود، والتساهل في

المعاصي.

فكأن الناظم يقول: الدين وسط بين الغالي والجافي، بين المتشدد والمتساهل.

أُوْطَرِن نَبِيًّا ... أُوْصَالِحًا وَلِيًّا

في هذا البيت ينهى الناظم عن أخطر أنواع الغلوّ، وهو: الغلوّ في الأنبياء والصالحين.
- والإطراء: هو المبالغة في المدح حتى يرفع المخلوق فوق منزلته، وقد قال النبي ﷺ: «لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» رواه البخاري (٣٤٤٥).

فالغلوّ في النبي ﷺ أو في الأولياء قد يجرّ إلى:

- دعائهم من دون الله.

- والاستغاثة بهم.

- والذبح لهم.

- والطواف بقبورهم.

- وطلب البركة منهم.

وهذا هو أصل الشرك الذي وقع فيه قوم نوح.

فكأن الناظم يقول: أحبّ النبي والصالحين، لكن بلا غلوّ يرفعهم فوق مقام العبودية.

أُوْتَمَنَزَّانُ بِاللّهِ ... أُوْدِينُهُ، يَا لَاهِي

هذا البيت يُحذّر من بابٍ عظيم قد يخرج به الإنسان من الإسلام:

- الاستهزاء بالله أو بدينه.

- والاستهزاء بالله.

- والاستهزاء بالقرآن.

- والاستهزاء بالسنة.

- والاستهزاء بأحكام الدين.

- والاستهزاء بالمتدينين لأجل تدينهم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّلَٰهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ
 ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٥٦-٦٦].

فكأن الناظم يقول: إياك أن تجعل الدين مادةً للسخرية، فإنها كلمة تهدم الإيمان كله.

الخلاصة

- الدين وسطٌ بين الغلو والتفريط.
 - الغلو في النبي والصالحين أصل الشرك.
 - الاستهزاء بالله أو بدينه كفرٌ أكبر.
- هذا الباب هو من حماية جناب التوحيد التي لا يتم الإيمان إلا بها.

التبرك والتوسل

٣٥. بِالثَّابِتِ التَّبَرُّكُ ... وَمَا سِوَاهُ يُتْرَكُ

٣٦. وَجَازَتْهُ الْوَسِيلَةُ ... بِالطَّاعَةِ الْجَلِيلَةِ

٣٧. وَوَصَفِهِ وَالْأَسْمَاءَ ... ثُمَّ دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ

في هذه الأبيات يأتي الناظم على مسألتين مهمتين وهما، التبرك والتوسل، فيقول:

بِالثَّابِتِ التَّبَرُّكُ ... وَمَا سِوَاهُ يُتْرَكُ

هذا البيت يؤكد قاعدة شرعية عظيمة في باب التبرك:

فالتبرك نوعان:

(١) تبرك ثابت مشروع، وهو ما ثبت بالدليل، مثل:

- التبرك بالقرآن.
- والتبرك بالنبي ﷺ في حياته: بعرقه، وشعره، وريقه، وثيابه.
- والتبرك بالأعمال الصالحة: كالدعاء والصدقة والذكر.
- والتبرك بالمواضع الشرعية: كالمساجد، وخاصة المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى حرره الله.

هذا هو التبرك الذي أقره الشرع.

(٢) تبرك غير ثابت ممنوع، وهو ما لم يثبت بالدليل، مثل:

- التبرك بالقبور.
 - والتبرك بالأضرحة.
 - والتبرك بالأشجار والأحجار.
 - والتبرك بآثار الصالحين بعد موتهم.
 - والتبرك بالتمائم والخرز.
 - والتبرك بالرقى المبتدعة.
- وهذا هو أصل الشرك عند الأمم السابقة.

فكأن الناظم يقول: التبرك لا يفعل إلا بما ثبت، وما لم يثبت يُترك.

وَجَازَتْ الْوَسِيلَةُ ... بِالطَّاعَةِ الْجَلِيلَةِ

في هذا البيت يُقرر القاعدة الجليلة في التوسل المشروع:

فالوسيلة المشروعة: هي ما أذن الله بها من القربات والطاعات المشروعة.

مقصود الناظم بالوسيلة: هي الثلاثة أنواع:

- التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، مثل: اللهم إنك الغفور الرحيم فاغفر لي.
- والتوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، مثل: حديث أصحاب الغار الذين توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة.
- والتوسل بدعاء الرجل الصالح الحي القادر بأن تطلب منه أن يدعو لك كما كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ الدعاء لهم في حياته.

والوسيلة الممنوعة: ما كان فيها طلبٌ لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو ما كان من البدع والشركيات.

خلاصة المعنى: الوسيلة المقبولة هي الطاعة العظيمة والعمل الصالح، وما يُسأل من الله، وما يُطلب من الحيِّ القادر في حدود قدرته، دون تجاوزٍ أو غلو.

فكأن الناظم يقول: اطلبوا التوسل المشروع بدعاء الله بأسمائه وصفاته، وبصالح أعمالكم، ومن الرجل الصالح الحي القادر.

وَوَصِّفِهِ وَالْأَسْمَاءَ ... ثُمَّ دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ

هذا البيت يشرح أنواع التوسل المشروع، وهي:

(١) التوسل بصفات الله وأسمائه، وهو من أعظم الوسائل، مثل أن تقول:

- يا رحمن ارحمني.

- يا غفور اغفر لي.

- يا رزاق ارزقني.

- يا كريم أكرمني.

وهذا مشروع بإجماع السلف.

(٢) التوسل بدعاء الأحياء، أي: أن تطلب من حيٍّ حاضرٍ قادرٍ أن يدعو لك، مثل: «ادعُ الله لي».

وهذا فعله الصحابة مع النبي ﷺ، ومع غيره من الصالحين الأحياء.

أما التوسل بالأموات فهو ممنوع، لأن الميت لا يملك دعاءً ولا عملاً، ولا يسمع دعاء المستغيث به.

فكأن الناظم يقول: توسَّل بأسماء الله وصفاته، وتوسَّل بدعاء الأحياء، ولا تتوسَّل بالأموات.

الخلاصة

- التبرك المشروع: ما ثبت بالدليل.
 - التبرك الممنوع: ما لم يثبت، وهو أصل الشرك.
 - التوسل المشروع: بالطاعة، والأعمال الصالحة، وأسماء الله وصفاته، ودعاء الأحياء.
 - التوسل الممنوع: بالأموات، أو بالذوات، أو بالقبور، أو بالأضرحة.
- هذا الباب من حماية جناب التوحيد الذي لا يتم الإيمان إلا به.

تعلق القلب بغير الله

٣٨. وَلَا تَسَلْ مَقْبُورًا ... أَوْ عِنْدَهُ الْغُفُورًا

٣٩. وَاجْتَنِبِ التَّمَائِمَا ... وَالسِّحْرَ وَالتَّشَاؤُمَا

٤٠. وَلَا تُصَدِّقْ بُرْجَا ... وَكَاهِنًا مُعَوَّجًا

٤١. وَكُنْ جَمِيلَ الظَّنِّ ... بِاللَّهِ، وَالتَّمَنِّي

٤٢. فَعَالِمُ الْغُيُوبِ ... وَغَافِرُ الذُّنُوبِ

٤٣. وَكَاشِفُ الْكُرُوبِ ... وَشَاهِدُ الْقُلُوبِ

٤٤. اللَّهُ دُونَ شِرْكَ ... حَقًّا بِغَيْرِ شَكِّ

بيّن الناظم وفقه الله في هذه الأبيات السابقة أمرين:

- التحذير من دعاء المقبورين.
 - تحري طلب المغفرة عند القبور.
- وفي الأبيات السابقة أيضاً يتحدث الناظم عن تعلق القلب بغير الله، فيقول:

وَلَا تَسَلْ مَقْبُورًا ... أَوْ عِنْدَهُ الْغُفُورًا

«ولا تسأل مقبوراً»: أي: لا تطلب من الميت شيئاً، لا دعاءً، ولا قضاء حاجة، ولا كشف ضرر، ولا جلب نفع، ولا شفاعاة، ولا بركة.

لأن الميت:

- لا يسمع دعاءك.
- لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً.
- ولا يقدر على إجابة سائل.
- ولا يتصرف في الكون.
- ولا يملك شيئاً من خصائص الربوبية أو الألوهية.

وهذا هو أصل الشرك عند الأمم، كما قال تعالى عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ [سورة نوح: ٢٣]، وكان أصلها: رجال صالحون ماتوا، فتعلق الناس بقبورهم.

«أو عنده الغفوراً»: أي: لا تطلب المغفرة عند القبر، ولا تتوسل بالميت، ولا تقف عنده تطلب رحمة الله، ولا تجعل القبر وصاحبه وسيلة بينك وبين الله.

فالمغفرة تُطلب من الله مباشرة، لا عبر قبر، ولا عبر ضريح، ولا عبر وليّ مات، وهذا يوافق قول النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» رواه الترمذي (٢٥١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فكأن الناظم يقول: لا تجعل قلبك مُعلّقاً بميت، فإن التعلق بالأموات شرك وضلال، والتعلق بالله توحيد ونجاة.

الخلاصة

- سؤال الميت شركٌ أكبر لأنه عبادة صُرفت لغير الله.
 - التعلق بالقبور أصل الشرك عند الأمم السابقة.
 - المغفرة تُطلب من الله مباشرة، لا من قبر ولا من وليّ مات.
- هذا البيت من أعظم أبواب حماية جناب التوحيد.

وَاجْتَنِبِ التَّمَائِمَ ... وَالسَّحَرَ وَالتَّشَاؤُمَا

في هذا البيت يجمع ثلاثة أبواب خطيرة، كل واحد منها يُفسد التوحيد أو يُنقصه:

أولاً: التَّمَائِم: وهي ما يُعلَّق لدفع البلاء أو جلب النفع، مثل:

الخرز، والعظام، الحُرُوز، والأوراق، والأحجبة، والتعاويد، وما يُكتب ويُعلَّق على الأطفال، وما يُعلَّق في السيارات أو البيوت.

وحُكْمها: إن كانت من القرآن: فهي مختلف فيها، والأحوط تركها سدًّا للذريعة، وإن كانت من غير القرآن: فمُحرَّمة وهي شرك أصغر؛ لأنها تُعلَّق القلب بغير الله، قال النبي ﷺ: «من تعلَّق تميمة فقد أشرك» رواه أحمد (١٧٤٢٢).

فكأن الناظم يقول: طهر قلبك من كل ما يُعلَّق، فالله وحده هو الحافظ.

ثانيًا: السحر: وهو من أعظم أبواب الكفر، وهو:

عملٌ شيطاني، ويتضمَّن الاستعانة بالشياطين، ويُفسد العقائد، ويُفَرِّق بين المرء وزوجه، ويُمرض ويُهلك.

وحُكْمه: فتعلَّمه كفر، وفعله كفر، والذهاب إلى الساحر محرَّم، وتصديق الساحر كفرٌ أكبر، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢].

فكأن الناظم يقول: السحر بابٌ مظلم، من دخله أفسد دينه قبل دنياه.

ثالثًا: التشاؤم: وهو: نسبة الشر إلى الطيور، أو الأصوات، أو الأيام

أو الأماكن، أو الأشخاص، أو الحوادث، مثل:

التشاؤم من يوم أو رقم معيَّن، والتشاؤم من طائر أو صوت، والتشاؤم من شخص أو مكان. وحُكْمه: التشاؤم محرَّم، وهو من الطيرة التي نهى عنها النبي ﷺ، وهو شركٌ خفيٌّ لأنه يُعلَّق القلب بغير الله، قال ﷺ: «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ» رواه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤) باختلاف يسير.

فكأن الناظم يقول: لا تجعل قلبك أسير الأوهام، فالله هو المدبّر وحده.

الخلاصة

- التمايم: شركٌ أصغر لأنها تعلّق القلب بغير الله.
 - السحر: كفرٌ أكبر، وهو من عمل الشياطين.
 - التشاؤم: محرّم، وهو من الطيرة التي تقدح التوحيد.
- هذه الثلاثة هي من أعظم ما يقدح في العقيدة، ولذلك جمعها الناظم في بيت واحد.

وَلَا تُصَدِّقْ بُرْجًا ... وَكَاهِنًا مُعَوَّجًا

هذا البيت يجمع بين مسألتين مهمتين في العقيدة:

البروج (التنجيم)، والكهانة والعرافة.

أولاً: «وَلَا تُصَدِّقْ بُرْجًا»: المقصود بالبروج: الأبراج الفلكية، والتوقعات اليومية، والحظّ، والطلع، وقراءة المستقبل عبر حركة النجوم، وربط صفات الناس بتاريخ ميلادهم.

وحكمه: فالذي يدّعي معرفة الغيب شرك أكبر، والتنجيم الذي يربط الحوادث بالنجوم شرك أصغر إلا إن اعتقد أنها مؤثرة فاعلة تخلق الحوادث والشروع فهذا شرك أكبر، وقراءة الأبراج وتصديقها حرام، ومتابعتها للتسلية محرّم لأنها بابٌ للانزلاق، قال النبي ﷺ: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» رواه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، ويُستثنى من ذلك تعلم علم الفلك لمعرفة الجهات والطرق والقبلة وأوقات الصلوات أو التأمل والتفكير في خلق الله.

فكأن الناظم يقول: لا تجعل النجوم تحدّد مصيرك، فالغيب بيد الله وحده.

ثانياً: «وَكَاهِنًا مُعَوَّجًا»: الكاهن هو: من يدّعي معرفة الغيب أو يُخبر عن المستقبل، أو يزعم معرفة ما في الصدور، أو يتعامل مع الجنّ والشياطين، أو يستخدم الطلاسم والأحجبة.

وحكمه: فالذهاب إلى الكاهن حرام، وتصديقه كفرٌ أكبر، وسؤاله دون تصديق لا تُقبل صلاة صاحبه أربعين يومًا.

وهذا لأن الكاهن: يتعامل مع الشياطين، ويخلط الحق بالباطل، ويُفسد عقائد الناس، ويُعلّق القلوب بغير الله.

فكان الناظم يقول: الكاهن مُعوّجٌ في عقيدته، فاحذر أن تميل إليه ولو بمجرد اطلاع.

الخلاصة

- الغيب لا يعلمه إلا الله.
- الأبراج والتنجيم شركٌ في الغيب.
- الكهانة والعِرافة بابٌ من أبواب الكفر.
- من صدّق مُنجّمًا أو كاهنًا فقد خالف التوحيد.
- هذا البيت من أعظم أبواب حماية جناب التوحيد.

وَكُنْ جَمِيلَ الظَّنِّ ... بِاللَّهِ، وَالتَّمَنِّي

هذا البيت يُقرر قاعدة شرعية عظيمة في باب الرجاء:

حسن الظن بالله عبادة قلبية عظيمة، لا يتم الإيمان إلا بها.

- «وكن جميل الظن ... بالله»: أي: توقّع الخير من الله، وارحُ رحمته، واطمئنّ لوعده، وكن على يقين أن الله أرحم بك من نفسك.

قال ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ» رواه مسلم (٢٨٧٧).

«والتمني»: أي: تمنّ الخير من الله، وتمنّ المغفرة، وتمنّ التوفيق، وتمنّ القرب منه، فالله كريم يُحبّ من عبده أن يسأله.

لكن التمني المشروع هو: تمنّي الخير مع العمل له لا تمنّي البطالين الذين يتمنّون بلا عمل.
فكأن الناظم يقول: اجعل قلبك عامراً بالرجاء، لا باليأس، فالله كريم لا يخيب من رجاه.

فَعَالِمُ الْغُيُوبِ ... وَغَافِرُ الذُّنُوبِ

هذا البيت يذكر سبب حسن الظن بالله:

(١) «عالم الغيوب»: أي: الله يعلم كل شيء:

- يعلم حاجتك. - ويعلم ضعفك. - ويعلم خوفك.
 - ويعلم ذنبك. - ويعلم ندمك. - ويعلم ما في قلبك.
- فهو سبحانه أرحم بك من كل أحد.

(٢) «غافر الذنوب»: أي: يغفر الذنب مهما عظم، ويقبل التوبة مهما تكرّرت، ويُبدّل السيئات حسنات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٥].

فكأن الناظم يقول: إذا كان الله يعلم غيبك ويغفر ذنبك، فكيف لا تحسن الظن به؟

وَكَاشِفُ الْكُرُوبِ ... وَشَاهِدُ الْقُلُوبِ

هذا البيت يذكر صفات تُحيي الرجاء في القلب:

(١) «وكاشف الكروب»: أي: الله وحده يكشف الهمّ والغمّ والضيق، لا وليّ ولا قبر ولا بشر، وما من كربة إلا والله قادر على كشفها، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [سورة النمل: ٦٢].

(٢) «وشاهد القلوب»: أي أن: الله يرى قلبك، ويعلم صدقك، ويعلم نيتك، ويعلم رجاءك، ويعلم خوفك، ويعلم ضعفك.

فكأن الناظم يقول:

إذا كان الله يكشف كربك ويرى قلبك، فاجعل رجاءك كله له.

الله دُونَ شِرْكَ ... حَقًّا بغيرِ شَكٍّ

هذا البيت هو خلاصة الباب كله:

الله وحده هو الذي يُرجى، ويُسأل، ويُتوكل عليه، ويُطلب منه كشف الكرب، وغفران الذنب، وتحقيق الأمل.

«الله دون شرك»: أي: لا تجعل مع الله شريكًا في رجائك، ولا في خوفك، ولا في دعائك، ولا في تمنيتك.

«حقًا بغير شك»: أي: هذا يقين لا ريب فيه، وهو أصل التوحيد، وهو لب الإيمان.

فكأن الناظم يقول: اجعل قلبك لله وحده، رجاءً وخوفًا وتوكلًا، فهذا هو التوحيد الحق.

الخلاصة

- حسن الظن بالله عبادة قلبية عظيمة.
- الله يعلم الغيوب، ويغفر الذنوب، ويكشف الكرب، ويرى القلوب.
- لا يُرجى إلا الله، ولا يُسأل إلا الله، ولا يُتوكل إلا عليه.
- هذا الباب من أعظم أبواب التوحيد القلبي الذي لا يتم الإيمان إلا به.

مراتب الدين

المرتبة الأولى: الإسلام: أركانه

٤٥. إِسْلَامُنَا السَّعَادَةُ ... أَوَّلُهُ الشَّهَادَةُ

هنا يُقرر الناظم المرتبة الأولى من مراتب الدين، وهي مرتبة الإسلام، فيضع الأساس الذي تُبنى عليه حياة المسلم كُلِّها:

«إِسْلَامُنَا السَّعَادَةُ»: أي: أن السعادة الحقيقية ليست في المال، ولا الجاه، ولا المنصب، ولا المتاع، بل في الإسلام وحده.

فمن فقد الإسلام فقد السعادة، ومن وجد الإسلام وجد السعادة ولو فقد الدنيا كُلِّها، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [سورة طه: ١٢٣].

فكأن الناظم يقول: السعادة ليست شعورًا عابرًا، بل هي ثمرة الإسلام.

«أَوَّلُهُ الشَّهَادَةُ»: أي: أن أول ركن من أركان الإسلام هو الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله.

وهما مفتاح الإسلام، وباب الدخول في الدين، وأعظم كلمة قالها البشر.

وهنا سؤال: لماذا بدأ بالشهادة؟

لأنها: أصل الدين، ومفتاح النجاة، وأول واجب على العبد، ولا تُقبل الأعمال إلا بها، ولا يُغفر الذنب إلا معها، ولا يدخل الجنة أحدٌ بدونها.

فكأن الناظم يقول: الإسلام يبدأ من كلمة التوحيد، وينتهي إلى السعادة الأبدية.

الخلاصة

- الإسلام هو السعادة الحقيقية.
- أول أركان الإسلام هو الشهادتان.
- لا يدخل العبد في الإسلام إلا بهما.
- وهما أساس الدين، وعمود التوحيد، ومفتاح النجاة.

معنى (لا إله إلا الله)

٤٦. لَا رَبَّ، لَا إِلَهَ ... بِالْحَقِّ إِلَّا اللَّهُ

معنى (محمد رسول الله)

٤٧. أَعْبُدُهُ بِمَا شَرَعَ ... رَسُولُهُ، وَمَا مَنَعَ

٤٨. أَتَرْكُهُ جَمِيعًا ... مُصَدِّقًا مُطِيعًا

في الأبيات السابقة يذكر الناظم معنى الشهادتين، ففي البيت الأول يُقدّم أوضح تعريف للشهادة:

لَا رَبَّ، لَا إِلَهَ ... بِالْحَقِّ إِلَّا اللَّهُ

«لا رب»: أي: لا خالق، ولا رازق، ولا مالك، ولا مُدبّر، ولا مُحيي، ولا مُميت، ولا نافع، ولا ضارّ إلا الله.

هذا هو توحيد الربوبية.

«لا إله»: أي: لا معبود بحقّ، يُصلّى ويُسجد له، ويُدعى، ويُذبح، ويُنذر له، ويُطاف له، ويُرجى، ويُخاف إلا الله.

وهذا هو توحيد الألوهية.

«بالحقّ إلا الله»: أي: أن كل ما عُبد من دون الله فهو باطل، وأن العبادة لا تصحّ إلا لله وحده.

فكأن الناظم يقول: لا خالق إلا الله، ولا معبود بحقّ إلا الله، وهذا هو معنى لا إله إلا الله.

أَعْبُدْهُ بِمَا شَرَعَ ... رَسُولُهُ، وَمَا مَنَعَ

هذا البيت يشرح معنى الاتّباع:

«أعبد به ما شرع ... رسوله»: أي: لا أعبد الله إلا بالطريقة التي جاء بها النبي ﷺ، لا بالبدع، ولا بالأهواء، ولا بالطرق المخترعة.

فالعبادة الصحيحة هي: ما أمر به النبي ﷺ وما فعله وما أقرّه وما دلّ عليه.

«وما منع»: أي: أترك كل ما نهى عنه النبي ﷺ، سواء في العقيدة أو العبادة أو السلوك.

فكأن الناظم يقول: معنى محمد رسول الله: أن أعبد الله بما جاء به النبي ﷺ، وأترك ما نهى عنه.

أَتْرَكُهُ جَمِيعًا ... مُصَدِّقًا مُطِيعًا

هذا البيت يُكَمِّل معنى الاتّباع:

«أتركه جميعًا»: أي: أترك كل ما خالف سُنَّة النبي ﷺ، وكل ما لم يشرعه، وكل بدعة، وكل عادة تخالف الشرع.

«مُصَدِّقًا مُطِيعًا»: أي: أَصَدَّق النبي ﷺ في كل ما أخبر، وَأَطِيعه في كل ما أمر، وأجتنب كل ما نهى عنه وزجر.

وهذا هو معنى قول السلف: لا يتم الإيمان إلا بالتصديق والانقياد.

فكأن الناظم يقول: معنى محمد رسول الله: تصديق تامّ، وطاعة كاملة، وترك لكل ما خالف هديّه.

الخلاصة

لا إله إلا الله، أي:

- لا معبود بحق إلا الله.
- ولا رب إلا الله.
- ولا يُدعى ولا يُرجى ولا يُخاف إلا الله.
- محمد رسول الله:
- أعبد الله بما شرعه ﷺ.
- وأترك ما نهى عنه.
- وأصدقّه في كلّ ما أخبر.
- وأطيعه في كلّ ما أمر.
- هذه المعاني هي أساس الإسلام، وبدونها لا تصحّ صلاة ولا صيام ولا حجّ ولا زكاة.

بقية أركان الإسلام

٤٩. وَخَمْسَنَا نُصَلِّي ... وَمَالَنَا نُزَكِّي

٥٠. فِي رَمَضَانَ صَوْمُنَا ... لِبَيْتِ رَبِّي حَجُّنَا

وفي البيتين السابقين يذكر الناظم بقية أركان الإسلام بعد الشهادتين، فيقول:

وَحَمْسَنَا نُصَلِّي ... وَمَالَنَا نُزَكِّي

هذا البيت يجمع ركنين عظيمين من أركان الإسلام:

الصلاة: هي عمود الإسلام، ولا يقوم الدين إلا بها، خمس صلوات فرضها الله في اليوم واليلة. من حافظ عليها فقد حافظ على دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، وهي أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة.

فكأن الناظم يقول: الصلاة ليست عادة يومية، بل هي صلة بين العبد وربّه، وميزان الإيمان.

- والزكاة: هي حقّ المال، وطهرة للنفس، ونماء للبركة.
- تُؤدّى إذا بلغ المال النصاب - وهو ربع العشر - وحال عليه الحال.
- وهي ركن لا يسقط إلا بعذر، ومن منعها بخلاً قاتله الإمام، وهي شكرٌ عمليّ على نعمة المال.

فكأن الناظم يقول: الزكاة ليست ضريبة، بل عبادة تُطهر القلب والمال.

في رَمَضَانَ صَوْمُنَا ... لِبَيْتِ رَبِّي حَجَّنَا

هذا البيت يجمع آخر ركنين من أركان الإسلام:

الصيام: وصيام رمضان فريضة عظيمة، وهو مدرسة للتقوى.

يُمسك فيه العبد عن الطعام والشراب والشهوة، لكن المقصود الأعظم: إمساك القلب عن المعاصي، واللسان عن اللغو، والجوارح عن الإثم.

قال تعالى في ختام آية فرض الصيام: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٣]، فالصيام طريقٌ للتقوى، لا مجرد امتناع عن الطعام.

والحج: فالحج إلى بيت الله الحرام ركنٌ على المستطيع.

يجمع التوحيد، والذكر، والخضوع، وترك الدنيا، والاجتماع على كلمة واحدة.

وهو اجتماع إيمانيٍّ عالميٍّ، يُذكر العبد بيوم الحشر والوقوف بين يدي الله.

فمن حجّ ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمّه.

فكأن الناظم يقول: الحج ليس رحلة، بل وقوفٌ بين يدي الله، وتجديدٌ للتوحيد.

الخلاصة

- الشهادتان: أصل الدين.
- الصلاة: عمود الدين.
- الزكاة: طهرة المال.
- والصيام: مدرسة التقوى.
- والحج: تجديد التوحيد.

هذه الأركان هي البناء الظاهر للإسلام، ولا يقوم الدين إلا بها.

المرتبة الثانية: الإيمان: أركانه

٥١. إِيْمَانُنَا بِاللّٰهِ ... الْوَاحِدِ الْإِلٰهِ

٥٢. وَبَعْدُ بِالْمَلَائِكَةِ ... وَكُتُبِهِ الْمُبَارَكَةِ

٥٣. وَرُسُلِهِ، وَالْقَدَرِ ... وَيَوْمِهِ الْمَوْخِرِ

في الأبيات السابقة يتحدث الناظم عن المرتبة الثانية من أركان الدين وهو الإيمان، فيقول:

إِيْمَانُنَا بِاللّٰهِ ... الْوَاحِدِ الْإِلٰهِ

هذا هو أصل الإيمان وأعظمه:

- الإيمان بوجود الله.
 - الإيمان بألوهيته وحده لا شريك له.
 - الإيمان بأسمائه وصفاته وحده لا شريك له.
 - الإيمان بالله يشمل:
 - معرفة الله.
 - ومحبته.
 - وتعظيمه.
 - والخضوع له.
 - والتوكل عليه.
 - وإخلاص العبادة له.
- وهذا هو لبّ التوحيد الذي سبق شرحه في أبواب كثيرة.

وَبَعْدُ بِالْمَلَأَةِ ... وَكُتِبَ الْمُبَارَكَةُ

هذا البيت يجمع ركنين من أركان الإيمان، هما:

(١) الإيمان بالملائكة: وهو أن نؤمن بأنهم:

- خلق من نور.	- وعباد مكرمون.
- ولا يعصون الله.	- ولهم أعمال ووظائف.
- منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام.	
وللإيمان بهم ثمرات، منها:	
- تعظيم أمر الله.	- ومراقبة الله.
- والخوف من المعصية.	- ومحبة الطاعة.

(٢) الإيمان بالكتب:

أي: الكتب التي أنزلها الله على رسله، مثل: القرآن والتوراة والإنجيل والزيور وصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

والقرآن هو آخر الكتب، وهو المهيم عليها، وهو كلام الله غير مخلوق كما سبق شرحه.

- وللإيمان بالكتب ثمرات، منها:
- يهدي إلى معرفة الحق والباطل.
- ويزيد الإيمان واليقين بوحى الله.
- ويورث الطمأنينة والسكينة القلبية.
- ويُعرف العبد بشرع الله وأوامره ونواهيه.
- ويُحقق اتباع الأنبياء والاقتداء بهم.
- ويكون سبباً للنجاة يوم القيامة لأنه ركن من أركان الإيمان.

وَرُسُلِهِ، وَالْقَدَرِ... وَيَوْمِهِ الْمُؤَخَّرِ

هذا البيت يجمع ثلاثة أركان من أركان الإيمان، وهي:

(١) الإيمان بالرسول: وهو أن نؤمن بأن:

- الله أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين.
- أولهم نوح عليه السلام.
- وآخرهم محمد ﷺ.
- وكلهم دعوا إلى التوحيد.
- وكلهم صادقون معصومون فيما يبلغون عن الله.
- (وَرُسُلِهِ): يشمل الإيمان بالأنبياء والرسول، ومنهم آدم عليه السلام.

وللإيمان بالرسول ثمرات منها:

- معرفة طريق الهداية والحق.
- ومحبة الرسول وتعظيمهم والافتداء بهم.
- وتمييز الحق من الباطل بما جاءوا به من الوحي.
- وزيادة الإيمان واليقين بوحي الله.
- وتمام الإيمان؛ لأنه ركن لا يصحّ إلا به.
- والنجاة يوم القيامة باتباعهم وطاعتهم.

(٢) الإيمان بالقدر: وهو أن نؤمن بأن:

- الله عَلِمَ كل شيء.
- وكتب كل شيء.
- وشاء كل شيء.
- وخلق كل شيء.

وللإيمان بالقدر ثمرات جليّة، منها:

- الرضا.
- والطمأنينة.
- والثبات.
- وترك الاعتراض على الله.

٣) الإيمان باليوم الآخر: وهو الإيمان بكل ما يكون فيه، مثل:

- البعث.
- الحساب.
- الصراط.
- الميزان.
- الجنة والنار.
- وهو من أعظم ما يُوقظ القلب ويجعل الإنسان يعمل للآخرة.

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات، منها:

- تقوية اليقين بوعده الله ووعيده.
- وحسن العمل؛ لأن من آمن بالجزاء اجتهد في الطاعة وابتعد عن المعصية.
- والزهد في الدنيا وعدم الاغترار بزخارفها.
- والطمأنينة والصبر على البلاء؛ لعلمه بأن الآخرة دار الجزاء.
- وصلاح الأخلاق والمعاملات؛ إذ يراقب العبد ربّه ويعلم أنه محاسب.
- والنجاة يوم القيامة؛ لأنه ركنٌ من أركان الإيمان.

الخلاصة

- الإيمان بالله.
- والإيمان بالملائكة.
- والإيمان بالكتب.
- والإيمان بالرسل.
- والإيمان باليوم الآخر.
- والإيمان بالقدر خيره وشره.
- هذه الأركان هي البناء الباطن للإيمان، وهي أعلى من الإسلام، وأعمق، وأشدّ تعلقًا بالقلب.

الإيمان بالملائكة

٥٤. مَلَائِكُكَ مِّنْ نُورٍ ... تَعْمَلُ بِالْمَأْمُورِ

٥٥. كَخَازِنِ الْجَنَانِ ... وَمَالِكِ النَّيْرَانِ

٥٦. مِكَالُ إِسْرَافِيلَ ... وَخَيْرُهُمْ جَبْرِيلُ

مَلَائِكُكَ مِّنْ نُورٍ... تَعْمَلُ بِالْمَأْمُورِ

هذا البيت يضع الأساس الذي لا يتم الإيمان بالملائكة إلا به:

(١) «ملائكُكَ من نور»: والملائكة: خلقٌ من نور ليسوا ذكوراً ولا إناثاً، لا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يعصون الله، ولا يتصفون بصفات البشر، وهذا يوافق الحديث الصحيح: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ» رواه مسلم (٢٩٩٦).

(٢) «تعمل بالمأْمُور»: أي: أنهم يفعلون ما أمرهم الله به بلا تردد ولا اعتراض: يُطِيعُونَ، وَيُسَبِّحُونَ، وَيَعْبُدُونَ، وَيُنْفِقُونَ أوامر الله في الكون، قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) [سورة التحريم: ٦].

فكأن الناظم يقول: الإيمان بالملائكة يعني الإيمان بطاعتهم المطلقة لله، وأنهم جنودٌ من نور.

كَخَازِنِ الْجَنَانِ ... وَمَالِكِ النَّيِّرَانِ

هذا البيت يذكر نماذج من الملائكة ووظائفهم:

(١) «خازن الجنان»: قيل هو رضوان ولا يثبت، الموكل بالجنة، ومن مهامه:

استقبال أهل الجنة، وفتح أبوابها، والترحيب بالمؤمنين، وتنفيذ أوامر الله في دار النعيم.

(٢) «مالك النيران»: هو مالك، خازن النار، قال تعالى: ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [سورة الزخرف: ٧٧]، ومن مهامه:

هو خازن النار، ومخاطبة أهل النار يوم القيامة: ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [سورة الزخرف: ٧٧]، بقوله: ﴿إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ﴾ [سورة الزخرف: ٧٧]، وتنفيذ أوامر الله فيها.

فكأن الناظم يقول: من الإيمان بالملائكة الإيمان بوظائفهم، وأن منهم خازن الجنة وخازن النار.

مِيكَالُ إِسْرَافِيلُ ... وَخَيْرُهُمْ جِبْرِيلُ

هذا البيت يذكر أعظم ثلاثة ملائكة:

(١) ميكائيل: وهو مَلَكٌ عظيم، موكل بـ:

الْقَطْرِ (المطر)، والنبات، والأرزاق، وما يحيي الأرض.

(٢) إسرافيل: وهو المُوَكَّلُ بالنفخ في الصور، وهو الذي:

ينفخ النفخة الأولى: فيموت الخلائق.

وينفخ النفخة الثانية: فيحصل البعث والنشور.

وقد وصفه النبي ﷺ بأنه: «صاحب القرن» رواه الترمذي (٢٤٣١)، وأحمد (١١٠٣٩) باختلاف يسير.

(٣) جبريل: وهو أعظم الملائكة وأفضلهم، ولذلك قال الناظم: «خيرهم جبريل»، وهو: أمين الوحي، والمؤكل بالرسالات، والذي نزل بالقرآن، والذي أتى الأنبياء بالهداية، والذي نزل على النبي ﷺ في غار حراء، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٣].

فكان الناظم يقول: الإيمان بالملائكة يشمل الإيمان بأسمائهم ووظائفهم، وأعظمهم وأفضلهم جبريل عليه السلام.

الخلاصة

- الملائكة خلق من نور.
- لا يعصون الله أبدًا.
- لهم وظائف عظيمة في الكون.
- منهم خازن الجنة.
- ومنهم خازن النار (مالك).
- ومنهم ميكائيل وإسرافيل.
- وأعظمهم جبريل أمين الوحي.

هذا الباب من أعظم أبواب الإيمان، ولا يتم الإيمان إلا به.

الإيمان بالكتب

٥٧. وَكُتِبَهُ الدُّسْتُورُ ... الصُّحُفُ وَالزَّبُورُ

٥٨. تَوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ ... وَهَيْمَنَ التَّنْزِيلُ

وَكُتِبَهُ الدُّسْتُورُ... الصُّحُفُ وَالزَّبُورُ

هذا البيت يُقرر أصلاً من أصول الإيمان، وهو:

الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على رسله.

(١) « وَكُتِبَهُ الدُّسْتُورُ »: أي: أن كتب الله هي الدستور الإلهي الذي تُبنى عليه حياة البشر، والدستور هو: المرجع الأعلى الذي تُبنى عليه حياة الناس، وفيه القواعد الكبرى التي تُنظم شؤونهم، وتضبط مسارهم، وتُحدّد ما يجب وما يُمنع، وما يُقبل وما يُرفض، وفيه:

الهداية، والتشريع، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والقصص والعبر.

والإيمان بالكتب يعني: التصديق بأنها من عند الله، واحترامها وتعظيمها، والعمل بما فيها، وعدم تحريفها أو تبديلها.

(٢) « الصحف والزبور »: الناظم يذكر مثالين من الكتب:

الصحف: وهي صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، كما قال تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾

﴿١٩﴾ [سورة الأعلى: ١٩].

والزبور: كتاب داود عليه السلام، وهو كتاب تسبيح وذكر ومواعظ.

فكأن الناظم يقول: من الإيمان بالكتب الإيمان بكل ما أنزله الله، سواء كان صُحُفًا أو كُتُبًا كبيرة.

تُوراةُ والإنجيلُ ... وهَيِّمَنَ التَّنْزِيلُ

هذا البيت يذكر أعظم الكتب قبل القرآن، ثم يبيِّن مكانة القرآن فوقها جميعًا.

(١) «تُوراةُ والإنجيلُ»: وهما كتابان عظيمان:

التُوراة: أنزلها الله على موسى عليه السلام، وفيها:

- الشرائع، والأحكام، والقصص، والوصايا.

والإنجيل: أنزله الله على عيسى عليه السلام، وفيه:

- الرحمة، والمواعظ، والتزكية، والبشارة بالنبى ﷺ.

والإيمان بهما يعني الإيمان بأنهما كانا حقًا من عند الله، قبل أن يُحرَفَهما أهل الكتاب.

(٢) «وَهَيِّمَنَ التَّنْزِيلُ»: أي: أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي:

هيمن على كل الكتب قبله، وصدّق الصحيح منها، وكشف ما حُرّف، ونسخ ما انتهى حكمه،

وأكمل الشرائع كلها، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ

وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

فكأن الناظم يقول: القرآن هو الكتاب الخاتم، الحاكم، المهيمن، الذي لا يأتيه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه.

الخلاصة

الإيمان بأن الله أنزل كُتُبًا على رسله.

الإيمان بالصحف والزبور والتُوراة والإنجيل.

الإيمان بأن القرآن هو الكتاب الخاتم المهيمن على كل ما قبله.

العمل بالقرآن هو أعظم مظاهر الإيمان بالكتب.

الإيمان بالرسول

٥٩. وَرُسُلُهُ بِالْحَتْمِ ... أَفْضَلُهُمْ ذُو الْعَزْمِ

٦٠. نُوحٌ فَأَبْرَاهِيمُ ... وَبَعْدَهُ الْكَلِيمُ

٦١. وَبَعْدَ عِيسَى الْمُصْطَفَى ... أَفْضَلُهُمْ وَالْمُنْتَهَى

وَرُسُلُهُ بِالْحَتْمِ ... أَفْضَلُهُمْ ذُو الْعَزْمِ

هذا البيت يؤكد أصلاً من أصول الإيمان:

(١) الإيمان بالرسول: أي: نؤمن بأن الله أرسل رسلاً إلى البشر، مبشرين ومنذرين، يدعون إلى التوحيد، ويبلغون شرع الله، ولا يكتمون شيئاً مما أوحى إليهم.

(٢) «بالحتم»: المقصود بالحتم: أي القطع والجزم واليقين؛ فالإيمان بالرسول أمرٌ محكومٌ به شرعاً، واجبٌ لا يُقبل فيه تردد ولا شك.

ومعنى قوله: «ورسله بالحتم»: أي أن الإيمان بجميع رسل الله إيمانٌ واجبٌ مقطوعٌ به، لا يتم إيمان العبد إلا به.

(٣) «أفضلهم ذو العزم»: أي: أن أفضل الرسل هم أولو العزم، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء هم أعظم الرسل صبراً وثباتاً وابتلاءً.

نُوحٌ فَأَبْرَاهِيمُ ... وَبَعْدَهُ الْكَلِيمُ

الناظم يذكر ترتيب أولي العزم:

(١) نوح عليه السلام: وهو أول رسول إلى أهل الأرض، دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وصبر على الأذى، وهو من أعظم الرسل.

(٢) إبراهيم عليه السلام: وهو خليل الرحمن، إمام التوحيد، أبو الأنبياء، ابتلي بالنار والذبح والهجرة، فكان إمامًا للموحدين.

(٣) «الكليم» موسى عليه السلام: سمي كليم الله لأنه كلّم تكليمًا، وهو صاحب التوراة، ومحارب الطغيان، وصاحب المعجزات العظيمة.

وَبَعْدَ عَيْسَى الْمَصْطَفَى ... أَفْضَلُهُمْ وَالْمُنْتَهَى

الناظم يختم بذكر آخر اثنين من أولي العزم:

(١) عيسى عليه السلام: وهو روح الله وكلمته، صاحب الإنجيل، رفعه الله إليه، وسيعود في آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الدجال ويحكم بالعدل.

(٢) «المصطفى» محمد ﷺ هو: خاتم الأنبياء، وأفضل الرسل، سيد ولد آدم، المبعوث للناس كافة، الذي اكتمل الدين ببعثته

الذي ختمت الرسالات برسالته، ولذلك قال الناظم:

«أفضلهم والمنتهى»: أي: هو نهاية الكمال في النبوة والرسالة.

الخلاصة

- الإيمان بأن الله أرسل رسلاً إلى البشر.
- الإيمان بأنهم صادقون، معصومون فيما يبلغون عن الله.
- الإيمان بأولي العزم الخمسة عليهم السلام.
- الإيمان بأن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء وأفضلهم.
- الإيمان بأن الرسالات كلها تدعو إلى التوحيد.

الإيمان بالقدر

٦٢. وَقَدَّرُ الْحَكِيمُ ... بِعِلْمِهِ الْعَمِيمِ

٦٣. فَكَتَبَهُ الْمُقَدَّرَا ... فَشَاءَهُ، ثُمَّ بَرَا

وَقَدَّرُ الْحَكِيمُ ... بِعِلْمِهِ الْعَمِيمِ

هذا البيت يذكر المرتبة الأولى من مراتب القدر:

(١) «قدر الحكيم»: أي: أن الله يُقَدِّرُ الأشياء بحكمة، لا عبث فيها ولا خطأ ولا ظلم.

فكل ما يجري في الكون: بقدر، وبحكمة، وبعلم، وبرحمة، وهذا يورث في القلب: الرضا، والطمأنينة، واليقين، والثقة بالله.

(٢) «بعلمه العميم»: هذه هي المرتبة الأولى من القدر: العلم.

أي: أن الله علم كل شيء: علم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، علمٌ شاملٌ لا يخرج عنه شيء.

فَكَتَبَهُ الْمُقَدَّرَا ... فَشَاءَهُ، ثُمَّ بَرَا

هذا البيت يجمع المراتب الثلاث الباقية من القدر:

(٢) «فكتبه المقدرا» — مرتبة الكتابة

أي: أن الله كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ، كما في الحديث: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة».

فلا يحدث شيء إلا وهو مكتوب.

(٣) «فشاءه» — مرتبة المشيئة.

أي: أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا يستطيع أحد أن يخرج عن مشيئة الله، ولا أن يحدث شيء دون إرادته.

وهذا يورث في القلب: التوكل، واليقين، وترك الاعتراض، والرضا بالقضاء.

(٤) «ثم برا» — مرتبة الخلق.

أي: أن الله خلق كل شيء، وخلق أفعال العباد، وخلق ما يجري في الكون، فلا خالق إلا الله، ولا مدبر إلا الله.

وهذه هي المرتبة الرابعة والأخيرة من القدر.

الخلاصة

- العلم: الله يعلم كل شيء.
 - الكتابة: الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ.
 - المشيئة: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.
 - الخلق: الله خالق كل شيء.
- هذه المراتب الأربع هي أساس الإيمان بالقدر، ولا يتم الإيمان إلا بها.

الإيمان المجمل والمفضل

٦٤. نُؤْمِنُ بِالْمُفَصَّلِ ... فِيَمَا مَضَى وَالْمُجْمَلِ

نُؤْمِنُ بِالْمُفَصَّلِ ... فِيَمَا مَضَى وَالْمُجْمَلِ

هذا البيت يُقرر قاعدة أهل السنة في باب الإيمان:

الإيمان نوعان: مجمل ومفصّل.

أولاً: الإيمان المجمل: وهو الإيمان العام الذي يشمل كل ما جاء به الله ورسوله، دون تفصيل لكل مسألة.

مثل أن تقول: أؤمن بالله، أؤمن بملائكته، أؤمن بكتبه، أؤمن برسله، أؤمن باليوم الآخر، أؤمن بالقدر خيره وشره، أؤمن بكل ما أخبر الله به في كتابه، أؤمن بكل ما صحّ عن النبي ﷺ.

هذا هو الإيمان الذي يُطلب من كل مسلم، وهو أصل الدين.

ثانياً: الإيمان المفصّل: وهو الإيمان التفصيلي بكل ما ورد من تفاصيل في القرآن والسنة، مثل:

- الإيمان بأن جبريل هو الموكل بالوحي.
- الإيمان بأن إسرافيل ينفخ في الصور.
- الإيمان بأن هناك ملك خازن للجنة.
- الإيمان بأن مالك خازن النار.
- الإيمان بأن القرآن هو كلام الله غير مخلوق.
- الإيمان بأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء.
- الإيمان بأن الجنة حق والنار حق.
- الإيمان بأن الصراط والميزان والحوض حق.
- الإيمان بأن عيسى ينزل آخر الزمان.

- الإيمان بأن الدجال يخرج آخر الزمان.
- الإيمان بأن القبر نعيم أو عذاب.

هذا هو الإيمان الذي يزداد به اليقين، ويقوى به القلب، ويثبت به الدين.

فكان الناظم يقول: نؤمن بكل ما جاء به الله ورسوله، إجمالاً وتفصيلاً، فيما مضى وفيما سيأتي، دون استثناء.

الخلاصة

- الإيمان المجل هو: التصديق العام بكل ما جاء به الوحي.
- الإيمان المفصل هو: التصديق التفصيلي بكل ما ورد من تفاصيل الغيب والشرع.
- لا يتم الإيمان إلا بهما معاً.

هذا البيت يربط بين أركان الإيمان وبين كمال اليقين.

المرتبة الثالثة: الإحسان

٦٥. وَالَّذِينَ يَأِخُذُونَ ... قِمَّتُهُ الْإِحْسَانُ

٦٦. أَنْ يُعْبَدَ إِلَهُهُ ... كَأَنَّا نَرَاهُ

٦٧. أَوْ نُوقِنَ الْإِيقَانَ ... بِأَنَّهُ يَرَانَا

وَالَّذِينَ يَأِخُذُونَ ... قِمَّتُهُ الْإِحْسَانُ

هذا البيت يُعلن أمر الإحسان:

فالإحسان هو قِمَّةُ الدِّين، وذروة الإيمان، وأعلى درجات العبودية.

والَّذِينَ ثلاثُ مراتب:

- الإسلام: وهو أعمال الجوارح.
- الإيمان: وهو أعمال القلوب.
- الإحسان: وهو مراقبة الله في السرِّ والعلن.

وهو: صفاء القلب، وحضور الروح، ومراقبة الله، واستحضار نظره، وعبادة الله على أكمل وجه.

أَنْ يُعْبَدَ إِلَهُهُ ... كَأَنَّا نَرَاهُ

هذا هو تعريف الإحسان كما جاء في حديث جبريل:

«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»، أي: أَنْ يَكُونَ حُضُورُ اللَّهِ فِي قَلْبِكَ قُوًى، حَتَّى كَأَنَّكَ تَشَاهِدُهُ بِعَيْنِكَ.

وهذا يُورث: الخشوع، والإخلاص، والطمأنينة، ولذة العبادة، وصدق التوجُّه، وصفاء السريرة.

فكأن الناظم يقول: الإحسان هو أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ عَلَى شَهْوَةٍ وَمُرَاقَبَةٍ، لَا عَلَى عَادَةٍ وَغَفْلَةٍ.

أَوْ نُوقِنَ الْإِيقَانَا ... بِأَنَّهُ يَرَانَا

هذا هو المرتبة الثانية من الإحسان كما جاء في الحديث: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، أي: إن لم تصل إلى مقام المشاهدة، فاعبد الله على مقام المراقبة:

- استحضار نظر الله.
- اليقين بأن الله يراك.
- واليقين بأن الله يسمعك.
- واليقين بأن الله يعلم سرّك ونجواك.

وهذا يورث: ترك المعصية، وقوة الطاعة، وصدق النية، وصفاء القلب، ومراقبة الله في الخلوات.

فكأن الناظم يقول: الإحسان له مقامان: المشاهدة، فإن لم تصل إليه فالمراقبة، وكلاهما يرفع العبد إلى أعلى درجات الدين.

الخلاصة

- الإحسان هو قمة الدين.
- تعريفه: أن تعبد الله كأنك تراه.
- فإن لم تصل إلى المشاهدة، فاعبد الله على المراقبة: فإنه يراك.
- الإحسان يورث صفاء القلب، وحضور الروح، وكمال العبودية.

حقيقة الإيمان ومُسمّاه

٦٨. إِيْمَانٌ بِاللِّسَانِ ... وَالْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ

٦٩. يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ ... يَقِلُّ بِالزَّلَّاتِ

٧٠. وَلْتَحْذَرْ الْإِرْجَاءَ ... وَالشِّرْكَ وَالرِّيَاءَ

إِيْمَانٌ بِاللِّسَانِ ... وَالْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ

هذا البيت يُقرر تعريف الإيمان عند سلف الأمة:

فالإيمان ثلاثة عناصر:

- (١) قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين، والإقرار الظاهر بالدين.
- (٢) اعتقاد القلب: وهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.
- (٣) عمل الأركان: وهو الصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر الأعمال الظاهرة.

وهذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة:

قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان.

فكأن الناظم يقول: الإيمان ليس كلمة تُقال فقط، بل هو كلمة وتصديق وعمل.

يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ ... يَقِلُّ بِالزَّلَّاتِ

هذا البيت يُقرر أصلاً عظيمًا:

الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات، مثل:

الصلاة، والصيام، والذكر، وقراءة القرآن، والصدقة، وبرّ الوالدين، وترك المعاصي، والإحسان إلى الخلق.

فكل طاعة تزيد نور الإيمان في القلب.

وينقص بالزلات، مثل:

المعاصي، والغفلة، وترك الواجبات، واتباع الهوى، والنظر المحرم، والكذب، والظلم، وعقوق الوالدين.

فكل معصية تُضعف الإيمان، حتى لو بقي أصله.

فكان الناظم يقول: الإيمان ليس ثابتاً، بل يتقلب، فاحرص على ما يزيده، واحذر مما ينقصه.

وَلْتَحْذَرِ الْإِرْجَاءَ ... وَالشَّرْكَ وَالرِّيَاءَ

هذا البيت يجمع ثلاثة أمراض خطيرة تُفسد الإيمان أو تقدحه:

(١) الإرجاء: إخراج العمل من الإيمان، والقول بأن العمل ليس من الإيمان، وهذا يفتح باب التهاون بالمعاصي، ويُضعف الدين، ويُفسد حقيقة الإيمان.

(٢) الشرك: وهو أعظم ما يفسد الإيمان، وهو صرف العبادة لغير الله: كدعاء غير الله، والذبح لغير الله، والاستغاثة بغير الله، والتعلق بالأولياء والأضرحة، والشرك يهدم الإيمان من أصله.

(٣) الرياء: وهو أن يعمل العبد العمل لغير الله، طلباً لمدح الناس أو نظرهم.

وهو شركٌ خفيّ، يفسد العمل، ويُضعف الإيمان، ويُذهب الأجر.

فكان الناظم يقول: احذر ثلاثة: الإرجاء الذي يُضعف الإيمان، والشرك الذي يهدمه، والرياء الذي يُفسد العمل.

الخلاصة

- الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعمل.
- يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.
- أخطر ما يفسده: الإرجاء، والشرك، والرياء.
- هذه الأبيات هي خلاصة منهج السلف في باب الإيمان.

خوارم الإيمان والتوحيد

٧١. وَلَا تُكْفِّرُ مُسْلِمًا ... بِالدَّنْبِ مَهْمَا عَظُمَا

٧٢. مَا لَمْ يُصِبْ مُكْفِّرًا ... وَالْخَارِجِيَّ فَاحْذَرَا

وَلَا تُكْفِّرُ مُسْلِمًا ... بِالدَّنْبِ مَهْمَا عَظُمَا

هذا البيت يُقرر قاعدة أهل السنة في باب التكفير:

(١) عدم تكفير المسلم بكل ذنب: أي: أن المسلم إذا وقع في معصية أو كبيرة أو زلة، فإنه لا يُكْفَر ما دام لم يفعل ما يخرج من الإسلام.

فمن:

شرب الخمر أو زنى أو سرق أو ظلم أو وقع في كبيرة أو تكررت منه المعاصي، فهو عاصٍ، فاسقٌ، مذنبٌ، لكنه ليس بكافر إلا إذا استحل المعصية.

وهذا هو منهج السلف، خلافاً للخوارج الذين يُكفرون بالذنب.

(٢) «مهما عظما»: أي: حتى لو كان الذنب كبيراً جداً، ما دام لم يصل إلى حدّ الكفر الأكبر، فإنه لا يُخرج من الإسلام.

فكأن الناظم يقول: لا تُكْفَر مسلماً بذنب، فالتكفير بابٌ خطير، والدماء معصومة، والدين لا يُهدم بالمعاصي.

مَا لَمْ يُصِبْ مُكْفِرًا ... وَالْخَارِجِيَّ فَاحْذَرَا

هذا البيت يوضح الضابط ويذكر التحذير:

(١) «ما لم يُصِبْ مُكْفِرًا»: أي: أن المسلم لا يُكْفَر إلا إذا وقع في مكفرٍ صريح -وهذا ليس لأي أحد بل للعلماء الراسخين-، مثل:

الشرك الأكبر، أو سبَّ الله، أو سبَّ الرسول ﷺ، أو الاستهزاء بالدين، أو إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو اعتقاد بطلان الإسلام أو عبادة غير الله، أو ترك الصلاة بالكلية، أو الإيمان بأن هناك نبيًا بعد محمد ﷺ.

مثل هذه الأمور هي التي تُخرج من الإسلام.

(٢) «والخارجي فاحذرا»: الخوارج هم الذين: يُكفِّرون المسلمين بالذنوب، ويستحلون الدماء، ويعتقدون أن من خالفهم كافر، ويفسدون في الأرض باسم الدين، ويخرجون على جماعة المسلمين وأئمتهم، ويجعلون مرتكب الكبيرة خارجًا من الإسلام. فالناظم يُحذّر منهم لأنهم:

- خالفوا منهج السلف، وأفسدوا باسم الدين، وسفكوا الدماء، وفرّقوا الأمة، وجعلوا التكفير بابًا مفتوحًا.
- فكأن الناظم يقول: احذر التكفير بغير حق، واحذر الخوارج الذين جعلوا الذنب كفرًا، فهدموا الدين وأهلكوا الناس.

الخلاصة

- لا يُكفّر المسلم بالذنوب مهما عَظُم.
- لا يُكفّر إلا إذا وقع في مكفّرٍ صريح.
- التكفير بابٌ خطير لا يدخل فيه إلا العلماء الراسخون.
- الخوارج يكفّرون بالذنوب، فاحذر منهم.
- هذا الباب يحفظ الدماء، ويصون الدين، ويمنع الفوضى العقدية.

عذاب القبر ونعيمه

٧٣. نُؤْمِنُ بِالْقِيَامَةِ ... وَالْقَبْرِ فِي الْبِدَايَةِ

٧٤. سُؤَالِهِ، وَضَمَّتِهِ ... عَذَابِهِ وَنِعْمَتِهِ

نُؤْمِنُ بِالْقِيَامَةِ ... وَالْقَبْرِ فِي الْبِدَايَةِ

هذا البيت يربط بين اليوم الآخر وبين أول منازلها:

(١) الإيمان بالقيامة: أي: نؤمن بيوم القيامة بكل ما فيه من:

بعث، وحشر، وحساب، وصراط، وميزان، وجنة، ونار، وهذا أصل من أصول الإيمان الستة.

(٢) «والقبر في البداية»: أي: أن أول مراحل الآخرة هو القبر، فهو:

أول منازل الآخرة، وبداية الحساب، وأول ما يواجهه الإنسان بعد الموت، قال النبي ﷺ: «القبر

أول منازل الآخرة» رواه مطولاً الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧) واللفظ له.

فكان الناظم يقول: من آمن بالقيامة، وجب أن يؤمن بما قبلها: القبر وما فيه.

سُؤَالِهِ، وَضَمَّتِهِ ... عَذَابِهِ وَنِعْمَتِهِ

هذا البيت يجمع أربعة أمور تقع في القبر، وهي عقيدة ثابتة عند أهل السنة:

(١) سؤال القبر: وهو سؤال الملكين:

- من ربك؟

- ما دينك؟

- من نبيك؟

ويسمى فتنة القبر، وهي أول اختبار بعد الموت.

المؤمن يثبته الله، والمنافق يضطرب.

(٢) ضمة القبر: وهي الضمة التي لا ينجو منها أحد، لكنها تختلف:

فضمة رحمة للمؤمن، وضمة شدة للعاصي، وضمة عذاب للكافر، قال النبي ﷺ: «لونجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ» رواه أحمد (٢٤٢٨٣)، وخُصَّ سعد رضي الله عنه لمنزلته العظيمة؛ ولأن عرش الرحمن اهتز لموته.

(٣) عذاب القبر: وهو حق ثابت، ومنه:

نارٌ تُعرض على الكافر، وضيق القبر، وضرب الملائكة للكافر، وفتح بابٍ من النار، ورؤية الكافر لمقعده من النار.

ومن أسبابه:

النميمة، وعدم الاستبراء والتنزه من البول، والكفر، والنفاق، والظلم.

(٤) نعيم القبر: وهو للمؤمن، ومنه:

توسيع القبر، وفتح بابٍ من الجنة، ورؤية مقعده من الجنة، والروح والريحان، والأمن والطمأنينة، والنوم كنومة العروس، قال تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ [سورة الواقعة: ٨٩].

الخلاصة

- القبر أول منازل الآخرة.
- فيه سؤال الملكين.
- وفيه ضمة القبر.
- وفيه نعيمٌ للمؤمن، وفيه عذابٌ للكافر والعاصي.
- الإيمان بهذه الأمور جزءٌ من الإيمان باليوم الآخر.

البعث والحشر

٧٥. فَالْبَعْثُ ثُمَّ الْحَشْرُ ... عَلَى اخْتِلَافِ الْقَدْرِ

هذا البيت يجمع مرحلتين عظيمتين من مراحل اليوم الآخر:

أولاً: البعث: هو إحياء الله للناس بعد موتهم، وإخراجهم من قبورهم بأجسادهم وأرواحهم.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١٥-١٦].

والبعث يعني: إعادة الأجساد كما كانت، وإعادة الأرواح إليها، وخروج الناس من القبور، وقيامهم لرب العالمين.

وهو حق ثابت لا يتم الإيمان باليوم الآخر إلا به.

ثانياً: الحشر: هو جمع الله للناس جميعاً في صعيد واحد، لا يخفى منهم أحد.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة مريم: ٨٥].

والحشر يشمل: الإنس والجن والكفار والمؤمنين والحيوانات وكل الخلائق.

ويُحْشَرُ النَّاسُ حَفَاةً عُرَاءَ غُرْلًا، كما قال النبي ﷺ، رواه البخاري (٦٥٢٤)، ومسلم (٢٨٦٠).

ثالثاً: «على اختلاف القدر»: هذه العبارة دقيقة جداً، وتفتح باباً عقدياً عظيماً:

أي: أن الناس يُبْعَثُونَ وَيُحْشَرُونَ على قدر أعمالهم ومنازلهم:

فمنهم من يُحْشَرُ رَاكِبًا (كالمُتَّقِينَ)، ومنهم من يُحْشَرُ مَاشِيًا، ومنهم من يُحْشَرُ عَلَى وَجْهِهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

ومنهم من يُحْشَرُ مَعَ أَحَبِّ، ومنهم من يُحْشَرُ مَعَ أَهْلِ الْإِيمَانِ، ومنهم من يُحْشَرُ مَعَ أَهْلِ الْفُجُورِ، ومنهم من يُحْشَرُ أَعْمَى، ومنهم من يُحْشَرُ كَالذَّرَّةِ (المتكبرون).

فكأن الناظم يقول: البعث واحد، لكن أحوال الناس فيه مختلفة باختلاف قدرهم عند الله.

الخلاصة

- البعث: إحياء الناس بعد الموت.
 - الحشر: جمعهم في صعيد واحد.
 - اختلاف القدر: تفاوت أحوال الناس في الحشر بحسب أعمالهم وإيمانهم.
- هذا البيت يجمع أول مراحل القيامة بعد القبر.

الشفاعة الكبرى

٧٦. فَيَشْفَعُ النَّبِيُّ ... مَقَامُهُ الْعَلِيِّ

هذا البيت يشير إلى الشفاعة الكبرى، وهي أعظم شفاعة للنبي ﷺ يوم القيامة، وتسمى: المقام المحمود، والشفاعة العظمى، والشفاعة العامة، والشفاعة في فصل القضاء، وهي الشفاعة التي يتمناها الأولون والآخرون.

ما هي الشفاعة الكبرى؟

هي أن يشفع النبي ﷺ عند الله ليبدأ الحساب، حين يقف الناس في الموقف العظيم، وقد اشتدّ بهم الكرب، وطال بهم الانتظار، وقرّبت الشمس، وبلغت القلوب الحناجر. فيذهب الناس إلى:

آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام، وكلهم يقول: نفسي .. نفسي.

ثم يأتون إلى محمد ﷺ فيقول: أنا لها... أنا لها.

فيسجد تحت العرش، ويفتح الله عليه من المحامد ما لم يفتح على أحد قبله، ثم يقول له: ارفع رأسك، وسل تعطى، واشفع تُشفّع.

وهذه هي الشفاعة الكبرى التي يذكرها الناظم.

«مقامه العليّ» — ما معنى المقام المحمود؟

هو المقام الذي يحمده فيه: الأولون والآخرون والمؤمنون والكافرون والملائكة والخلق كلهم، لأنه هو الذي يشفع لهم عند الله ليبدأ الحساب، فيرتاح الخلق من هول الموقف.

قال تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (سورة الإسراء: ٧٩)، وهو مقامٌ لا يناله أحدٌ غيره ﷺ.

لماذا هو أعلى المقامات؟

لأنه يجمع:

شفاعةً عامةً لكل الخلق، وسجودًا تحت العرش، وفتحًا من المحامد لم يُفتح لغيره، وقبولًا مطلقًا من الله، ورفعًا لذكره بين العالمين، وإظهارًا لسيادته على الأنبياء والرسل. فكان الناظم يقول: أعلى مقامٍ يوم القيامة هو مقام الشفاعة الكبرى، وهو للنبي ﷺ وحده دون سواه.

الخلاصة

- الشفاعة الكبرى هي أعظم شفاعة للنبي ﷺ.
 - تكون حين يشتدّ الكرب على الخلق في الموقف العظيم.
 - يشفع النبي ﷺ لبيد الحساب.
 - هذا هو المقام المحمود الذي وعده الله به.
- وهو أعلى مقامٍ يناله بشر.

الحساب

٧٧. فَيُنْشَرُ الْكِتَابُ ... وَيَبْدَأُ الْحِسَابُ

٧٨. بِالْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ ... وَالْفَضْلِ وَالْغُفْرَانِ

فَيُنْشَرُ الْكِتَابُ ... وَيَبْدَأُ الْحِسَابُ

هذا البيت يصف أول مشاهد الحساب:

أولاً: نشر الكتاب (الصحف):

يوم القيامة تُعطى كل نفس كتابها الذي يحصي:

الأعمال، والأقوال، والنيات، والخطوات، واللحظات، والخفايا والعلانيات، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ٤٩]، ويُعطى الناس كتبهم: باليمين وهي علامة النجاة، وبالشمال وهي علامة الهلاك، ومن وراء الظهر زيادة في الخزي، وقيل بالشمال من وراء الظهر جمعاً للقولين.

ثانياً: يبدأ الحساب:

بعد نشر الصحف يبدأ الحساب، وهو:

سؤال، ومناقشة، ومحاسبة، ووزن للأعمال، وإظهار للحقائق، وإقامة للحجة، قال النبي ﷺ: «من نوقش الحساب عذب» رواه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦)، أي: من دخل في الحساب الدقيق، فهو على خطر.

أما المؤمن فيحاسب حساباً يسيراً:

عرضٌ لا مناقشة فيه.

بِالْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ ... وَالْفَضْلِ وَالْغُفْرَانِ

هذا البيت يجمع أربعة أصول في الحساب:

(١) العدل: الله يحاسب الخلق بالعدل التام:

لا يُظلم أحد، لا تُنقص حسنة، ولا تُزاد سيئة، ولا يُؤخذ أحد بذنب غيره، ولا يُحمّل أحد فوق طاقته، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ٤٩].

(٢) الميزان: وهو ميزانٌ حقيقيّ توزن به الأعمال، والصحف، والناس، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٤٧]، ومن خصائصه: دقةٌ لا تُخطئ، وعدلٌ لا يميل، وتظهر به قيمة الأعمال، وتوزن به النيات.

(٣) الفضل: مع أن الحساب قائم على العدل، إلا أن الله يعامل المؤمنين بالفضل:

يضاعف الحسنات، ويتجاوز عن السيئات، ويرفع الدرجات، ويُعطي بلا مقابل، ويكرم بلا سبب إلا رحمته، قال النبي ﷺ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ» رواه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦).

(٤) الغفران: وهو أعظم ما يرجوه المؤمن يوم القيامة:

سترٌ للذنوب، ومحوٌ للخطايا، وتجاوزٌ عن الزلات، وقبولٌ للتوبة، ورحمةٌ واسعة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة الفرقان: ٧٠].

الخلاصة

- تُنشر الصحف وتُعطى الأيدي كتبها.
- يبدأ الحساب بعرض الأعمال.
- يُحاسب الناس بالعدل والميزان.
- ويُعامل المؤمنون بالفضل والمغفرة.
- هذا المشهد من أعظم مشاهد القيامة.

الأهوال والجنة والنار

٧٩. نُؤْمِنُ بِالْظَّلَالِ ... وَالْحَوْضِ وَالْأَهْوَإِ

٨٠. وَالْجِسْرِ وَالنَّيِّرَانِ ... وَالْخُلْدِ وَالْجِنَانِ

نُؤْمِنُ بِالْظَّلَالِ ... وَالْحَوْضِ وَالْأَهْوَإِ

هذا البيت يجمع ثلاثة مشاهد عظيمة:

(١) الظلال: المقصود بها: ظلّ عرش الرحمن يوم القيامة، حين تدنو الشمس من رؤوس الخلائق، ويشتدّ الحرّ، ويطول الوقوف.

فِيُظَلِّلَ اللَّهُ سَبْعَةَ أَصْنَافٍ، مِنْهُمْ:

إمامٌ عادل، وشابٌّ نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ومتحابان في الله، ومن تصدّق بصدقة فأخفاها، ومن ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ومن دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله.

هذا الظلّ هو من أعظم النعيم في الموقف العظيم.

(٢) الحوض: وهو حوض النبي ﷺ، وهو حوضٌ حقيقيّ، مأوّه:

أشدّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وطوله شهر، وعرضه شهر، وأنيته كنجوم السماء، ومن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا.

ويُزَادُ عَنْهُ أَقْوَامٌ غَيَّرُوا وَبَدَّلُوا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ.

(٣) الأهوال: وهي شدائد يوم القيامة، مثل:

دنوّ الشمس، والعرق، وطول الوقوف، والصعق، وتغير الأرض، ومجيء جهنم، وتطايير الصحف، وكشف السرائر، وشدة الحساب.

هذه الأهوال تُظهر عظمة ذلك اليوم، وتبرز الحاجة إلى رحمة الله.

وَالْجِسْرُ وَالنَّيِّرَانِ ... وَالْخُلْدُ وَالْجَنَانِ

هذا البيت يجمع أربعة مشاهد أخرى:

(١) الجسر (الصراط): والصراط هو جسرٌ منصوب على ظهر جهنم، أدق من الشعر، وأحد من السيف.

يمرّ عليه الناس بحسب أعمالهم:

كالبرق، وكالريح، وكأسرع الخيل، كالرجل الساعي، وكالمشي، وكالحيو، ومنهم من يسقط في النار، وعلى الصراط كلاليب تخطف الناس بأعمالهم.

(٢) النيران: أي: الإيمان بالنار وما فيها من:

العذاب، والزقوم، والحميم، والسلاسل، والغلّ، والخزي، والخلود للكفار، والعذاب للعصاة ما لم يغفر الله لهم.

النار حقّ، وهي دارٌ أعدّها الله للكافرين والمنافقين والعصاة.

(٣) الخلد: الخلود هو دوام البقاء في الدار التي يستقرّ فيها الإنسان:

خلودٌ في الجنة للمؤمنين، وخلودٌ في النار للكافرين.

وهو من أعظم مشاهد اليوم الآخر.

(٤) الجنان: الجنة حقّ، وهي دار النعيم، فيها:

ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأنهارٌ من ماءٍ ولينٍ وعسل، وقصورٌ ونعيمٌ ورضوان، ورؤية الله عز وجل، وهي أعظم ما يرجوه المؤمن.

الخلاصة

- الظلال: ظلّ العرش يوم القيامة.
- الحوض: حوض النبي ﷺ.
- الأهوال: شدائد يوم القيامة.
- الجسر: الصراط فوق جهنم.
- النيران: الإيمان بالنار وعذابها.
- الخلد: دوام البقاء في الجنة أو النار.
- الجنان: نعيم الجنة ورضوان الله.

رؤية المؤمن لله

٨١. ورؤية الأبرار... بالعين للجبار

هذا البيت يُقرر عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة هي أعلى نعيم الجنة:

أولاً: رؤية الله حق ثابت للأبرار:

المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة رؤية حقيقية بالعين، لا خيالاً ولا مجازاً، كما يرون الشمس والقمر في صفاء ووضوح بلا ازدحام، قال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته» رواه البخاري (٧٣٤٣) ومسلم (٦٣٣).

هذه الرؤية: ليست رؤية قلبية، ولا رؤية منامية، بل رؤية بالعين، يراها المؤمنون في الجنة، وهي أعظم نعيم فيها.

ثانياً: «الأبرار» — من هم؟

الأبرار هم: أهل الطاعة والصدق والإيمان والاستقامة، وأهل القلوب النقية، والأعمال الصالحة.

هؤلاء هم الذين يُكرمون برؤية الله، أما الكفار فقد قال الله عنهم: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٥]، فالحجاب عقوبة، والرؤية كرامة.

ثالثاً: «بالعين للجبار» — ما معنى هذا؟

أي: أن الرؤية تكون بأبصارهم، رؤية حقيقية لرب العالمين، الجبار العظيم، بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل.

لا يُشبهونه بخلقه، ولا يصفونه بما لا يليق، ولا يتوهمون صورة أو هيئة.

بل يرونه كما يليق بجلاله، رؤيةً تُبهج القلوب، وتملأ الأرواح نورًا، وتُنسي أهل الجنة كل نعيمٍ دونها.

رؤية الله... لماذا هي أعظم نعيم؟

لأنها:

تُكمل لذة الجنة، وتُنهي كل خوف، وتُزيل كل حزن، وتُعطي القلب طمأنينةً لا تزول، وتُقرّ العين برؤية ربها.

هي نهاية السعادة وغايتها، قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣]، هذه الآية هي تاج هذا الباب.

الخلاصة

- رؤية الله حقٌّ ثابتٌ للمؤمنين.
- تكون رؤيةً حقيقيةً بالعين.
- هي أعظم نعيم الجنة.
- لا يرى الكفار الله، بل يُحجبون عنه.
- هي نهاية السعادة وغاية الأبرار.

الحقوق ومكارم الأخلاق

حق الله وشرط صحة العمل

٨٢. نُوحِدُ الْقَهَّارَ ... وَنَتَّبِعُ الْمُخْتَارَ

هذا البيت يُقرر أعظم حقٍّ لله، وأعظم واجبٍ على العبد، وشرط صحة كل عمل:

أولاً: «نُوحِدُ الْقَهَّارَ» — حقَّ الله الأعظم

التوحيد هو: إفراد الله بالعبادة، وإخلاص الدين له، وترك الشرك صغيره وكبيره، وإفراد الله بالحبِّ والخوف والرجاء، وعدم صرف شيء من العبادة لغيره، قال النبي ﷺ: «حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

فكأن الناظم يقول: أول الحقوق: توحيد الله القهَّار، الذي قهر الخلق بقدرته، وقهر القلوب بعظمته.

ثانياً: «ونَتَّبِعُ الْمُخْتَارَ» — شرط صحة العمل

المختار هو محمد ﷺ، الذي اختاره الله:

لِلرَّسَالَةِ، وَلِلْمَهْدَايَةِ، وَلِلْبَلَاغِ، وَلِللَّسَنَةِ، وَلِلشَّرِيعَةِ الْخَاتِمَةِ.

واتباعه شرطٌ لقبول العمل، فلا يقبل الله عملاً بلا:

إِخْلَاصَ لِلَّهِ، وَاتِّبَاعَ لِرَسُولِهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ٣١]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

فكأن الناظم يقول: لا يكفي أن تُخلص لله، بل لا بد أن تتبع رسول الله، فالإخلاص والتوحيد شرط، والاتباع شرط.

ثالثاً: لماذا جمع الناظم بين التوحيد والاتباع؟

لأنهما شرطان لا ينفصلان:

- التوحيد بلا اتباع: بدعة وضلال
 - والاتباع بلا توحيد: شركٌ وردُّ
 - والجمع بينهما: هو الإسلام الصحيح
- وهما أصلان يجمعان الدين كله:

- فتوحيد القهار: إصلاح القلب
- واتباع المختار: إصلاح العمل

الخلاصة

- حق الله الأعظم: توحيده وإخلاص الدين له.
- شرط صحة العمل: اتباع النبي ﷺ.
- لا يُقبل عملٌ بلا توحيد، ولا بلا اتباع.
- هذا البيت يؤكد قاعدة عظيمة في الدين، وأصل النجاة، وشرط القبول.

حق النبي ﷺ

٨٣. تَعْظِيمُنَا لِلْمُصْطَفَى ... بِلَا غُلُوٍّ أَوْ جَفَا

هذا البيت يذكر القاعدة الذهبية في حق النبي ﷺ:

التعظيم المشروع، بلا إفراط ولا تفريط.

أولاً: تعظيم المصطفى ﷺ — حق واجب

وتعظيم النبي ﷺ يشمل:

محبتة محبة تفوق النفس والولد، وتوقيره واحترامه، والصلاة عليه والإكثار منها، والدفاع عنه وعن سنته، والاقتراء بهديه، وتعظيم أوامره ونواهيه، والترضي عن أصحابه وأهل بيته، ونشر سنته وتعليمها، وهذا التعظيم هو من أصول الإيمان، قال تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [سورة الفتح: ٩].

ثانياً: بلا غلو — التحذير من الإفراط

الغلو هو تجاوز الحد في التعظيم، ومن أمثلته:

رفع النبي فوق مقام العبودية، وادعاء أنه يعلم الغيب، وطلب ما لا يقدر عليه إلا الله، والاستغاثة به من دون الله، وجعله شريكاً في صفات الربوبية، والاحتفال بالبدع التي لم يفعلها هو ولا أصحابه، قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» رواه البخاري (٣٤٤٥).

فكأن الناظم يقول: عظموا النبي ﷺ، لكن لا ترفعوه فوق مقامه الذي رفعه الله إليه.

ثالثاً: ولا جفاء — التحذير من التفريط

الجفاء هو: ترك حق النبي ﷺ، ومن مظاهره:

عدم محبته، وترك سنته، والاستهزاء بشيء من هديه، وتقديم آراء الناس على قوله، وترك الصلاة عليه، وعدم توقير حديثه، والتهاون في الدفاع عنه، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣].

فكأن الناظم يقول: لا إفراط ولا تفريط ... لا غلو ولا جفاء... بل تعظيم وسط هو دين الله.

رابعاً: لماذا جمع الناظم بين الغلو والجفاء؟

لأن الأمة انقسمت في هذا الباب:

قومٌ غلوا حتى عبدوا النبي أو استغاثوا به، وقومٌ جفوا حتى تركوا سنته أو استهانوا بها.

والمنهج الحق هو التعظيم بلا غلو، والاتباع بلا جفاء.

وهذا هو منهج السلف، وهو الذي ينبغي العبد يوم القيامة.

الخلاصة

- حق النبي ﷺ: تعظيمه وتوقيره ومحبته واتباعه.
- بلا غلو: لا رفع فوق مقام العبودية.
- بلا جفاء: لا ترك لسنته ولا استهانة بأمره.
- هذا البيت يجمع أصل الدين في حق النبي ﷺ.

حق الصحابة

٨٤. نُؤْمِنُ بِالتَّكْرِيمِ ... وَالْحُبِّ وَالتَّسْلِيمِ

٨٥. لِأَلِهِ وَصَحْبِهِ ... وَزَوْجِهِ، وَحِزْبِهِ

٨٦. سُبْحَانَهُ فَضَّلَهُمْ ... رَبِّي كَمَا اسْتَخْلَفَهُمْ

٨٧. نَكُفُّ عَمَّا شَجَرَا ... بَيْنَهُمْ، وَمَا جَرَى

نُؤْمِنُ بِالتَّكْرِيمِ ... وَالْحُبِّ وَالتَّسْلِيمِ

هذا البيت يُقرر ثلاثة حقوق عظيمة للصحابة وآل البيت:

(١) التكريم: أي: نعتقد وجوب احترامهم، وتوقيرهم، وذكرهم بالجميل، وعدم سبهم أو تنقصهم.

(٢) الحُب: محبتهم ديناً وإيماناً، لأنهم:

حملوا القرآن، ونشروا السنة، وجاهدوا مع النبي ﷺ، وضحّوا بكل شيء لأجل الإسلام.

(٣) التسليم: أي: التسليم لما ورد في فضلهم، وعدم الاعتراض على عدالتهم، وعدم الخوض في نياتهم أو اتهامهم.

فكأن الناظم يقول: ديننا مبني على حب الصحابة وتعظيمهم والتسليم لفضلهم.

لِأَلِهِ وَصَحْبِهِ ... وَزَوْجِهِ، وَحِزْبِهِ

هذا البيت يوسّع دائرة الحقوق لتشمل:

(١) آل النبي ﷺ وهم: أزواجه، وذريته، وبنو هاشم، وبنو المطلب.

ولهم حق المحبة والتوقير والنصرة.

(٢) الصحابة: وهم: كل من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك.

(٣) زوجاته: أمهات المؤمنين، لهنَّ حقَّ التعظيم والاحترام، وسبهن من أعظم المحرمات.

(٤) حزبه: أي: أنصاره وأتباعه، الذين نصرُوا الدِّين وحملوا الرسالة.

فكأن الناظم يقول: حقوق النبي تشمل آله وصحبه وزوجاته وكل من نصره.

سُبْحَانَهُ فَضَّلَهُمْ ... رَبِّي كَمَا اسْتَخْلَفَهُمْ

هذا البيت يُقرر أصلاً عقدياً مهماً، وهو:

(١) تفضيل الصحابة: فالله هو الذي فضَّلهم، وليس الناس.

وفضَّلهم: بالصحبة، وبالجهاد، وبالعلم، وبالسبق، وبالنصرة، وبالاختيار الإلهي لهم ليكونوا حملة الدِّين.

(٢) استخلافهم: أي: أن الله اختارهم ليكونوا خلفاء في الأرض بعد النبي ﷺ، فكانوا: خلفاء راشدين، وقادةً للأمة، وناشرين للقرآن، ومؤسسين للدولة الإسلامية.

فكأن الناظم يقول: فضلُ الصحابة واستخلافهم أمرٌ رباني، لا يُعارض ولا يُشكك فيه.

نَكُفُّ عَمَّا شَجَرَا ... بَيْنَهُمْ، وَمَا جَرَى

هذا البيت يذكر القاعدة الذهبية في التعامل مع الخلافات التي وقعت بين الصحابة:

(١) الكفُّ عَمَّا شَجَرَا بينهم: أي: لا نخوض في تفاصيل ما وقع بينهم من قتالٍ أو خلافٍ سياسي، ولا نطعن في نياتهم، ولا نحملهم ما لا يليق.

لماذا؟

لأنهم: مجتهدون، ولهم فضل الصحبة، ولهم حسنات عظيمة تمحو ما وقع من زلات، وما وقع بينهم كان بتأويل واجتهاد، والله قد غفر لهم ورضي عنهم.

(٣) منهج أهل السنة والجماعة:

نحبّ الجميع، ونترضى عن الجميع، ونكفّ عمّا وقع بينهم، ونعتقد أنهم خير القرون، والله اصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ، ونرى أن الخوض فيهم يفسد القلب والدين. فكأن الناظم يقول: الخلافات التي وقعت بينهم لا تُنقص فضلهم، ولا تُدخلنا في سيئهم، بل نكفّ ونُحسن الظنّ.

الخلاصة

- نحبّ الصحابة وآل البيت وزوجات النبي ﷺ.
- نكرمهم ونوقّرهم ونسلم لفضلهم.
- نعتقد أن الله فضلهم واختارهم لحمل الدين.
- نكفّ عمّا وقع بينهم من خلافات.
- هذا هو منهج أهل السنة والجماعة.

حق الوالدين والعلماء والأقارب

٨٨. نَبَرُ وَالِدَيْنَا ... وَالْعُلَمَاءُ لَدَيْنَا

٨٩. وَالصَّالِحُ الْوَلِيَّا ... الْمُؤْمِنُ التَّقِيَّا

٩٠. وَنُكْرُمُ الْإِخْوَانَا ... وَالْأَهْلَ وَالْجِيرَانَا

نَبَرُ وَالِدَيْنَا ... وَالْعُلَمَاءُ لَدَيْنَا

هذا البيت يجمع حقين عظيمين:

(١) برّ الوالدين: الوالدان هما أعظم الخلق حقاً بعد الله ورسوله، وبرّهما يشمل:

الإحسان إليهما، وطاعة أمرهما في غير معصية، وخفض الجناح لهما، والدعاء لهما، والصبر على طبعهما، وإدخال السرور عليهما، وخدمتهما قدر الاستطاعة، قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٣]، وبرّ الوالدين من أعظم القربات، وهو سبب البركة وطول العمر.

(٢) العلماء لدينا: العلماء ورثة الأنبياء، وحقهم يشمل:

احترامهم، وتوقيرهم، والأخذ عنهم، وعدم تنقصهم، والدفاع عنهم، والدعاء لهم، وحفظ مكانتهم في الأمة، قال النبي ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء» رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وتوقير العلماء من توقير الدين نفسه.

وَالصَّالِحُ الْوَلِيَّا ... الْمُؤْمِنُ التَّقِيَّا

هذا البيت يُوسّع دائرة الحقوق لتشمل الصالحين والأولياء والمؤمنين الأتقياء:

(١) الصالح الولي: الولي هو: المؤمن الصالح، المستقيم على الطاعة، المحبوب عند الله، الذي لا يطلب الدنيا بعمله، ولا يبتغي رياءً أو سمعة، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمَّ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ [سورة يونس: ٦٢]، وحقّه: محبته، والدعاء لهم، والاقتداء بصلاحه، واحترامه، وعدم إيذائه.

(٢) المؤمن التقى: كل مؤمنٍ تقى له حقٌ عليك:

حقّ الأخوة، وحقّ النصرة، وحقّ الدعاء، وحقّ الستر، وحقّ الاحترام، وحقّ عدم الغيبة، حقّ عدم الظلم، قال النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم» أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

وَنُكْرِمُ الْإِخْوَانَ ... وَالْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ

هذا البيت يجمع ثلاثة حقوق اجتماعية عظيمة:

(١) الإخوان: الإخوان هم: أهل الصحبة والرفقة والمودة، وأهل الطريق إلى الله، وحقّهم:

الإكرام، وحُسن المعاملة، والنصيحة، والستر، والعفو، والصبر على الزلات.

(٢) الأهل: هم: الزوجة، والأولاد، والأقارب، والعشيرة، وحقّهم:

الإحسان، والنفقة، والرحمة، والستر، والصبر، والعدل، وحسن الخلق، قال النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله» رواه ابن ماجه (١٩٧٧).

(٣) الجيران: الجيران لهم حقٌ عظيم، حتى قال النبي ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى

ظننت أنه سيورثه» رواه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٤)، وحقّهم:

عدم إيذائهم، ومساعدتهم، وتفقد أحوالهم، وسترهم، ومشاركتهم في الأفراح، ومواساتهم في الأحزان.

الخلاصة

- برّ الوالدين أصل مكارم الأخلاق.
 - توقير العلماء من توقير الدين.
 - محبة الصالحين والأولياء من علامات الإيمان.
 - إكرام الإخوان والأهل والجيران من تمام الإسلام.
- هذه الأبيات تبني شخصية المسلم في المجتمع: قلبًا نقيًا، ولسانًا طيبًا، وخلقًا كريمًا.

لزوم الجماعة وطاعة ولي الأمر

٩١. وَنَلْزَمُ الْجَمَاعَةَ ... وَالنُّصْحَ وَالْإِطَاعَةَ

٩٢. لِأَوْلِيَاءِ الْأَمْرِ ... فِي مَنْشَطٍ أَوْ عُسْرِ

٩٣. فِي غَيْرِ مَا عَصِيَانٍ ... وَلِنَدْعُ لِلْسُّلْطَانِ

وَنَلْزَمُ الْجَمَاعَةَ ... وَالنُّصْحَ وَالْإِطَاعَةَ

هذا البيت يجمع ثلاثة أصول عظيمة:

(١) لزوم الجماعة: وهي:

جماعة المسلمين، وإمامهم، وعلمائهم، واجتماع كلمتهم، ووحدتهم صفتهم.

لزوم الجماعة يعني: عدم شق الصف، وعدم إثارة الفتن، وعدم الخروج على الأمة وولادة أمور المسلمين، وعدم التحزب المفرق، وعدم اتباع الشذوذ والغرائب، قال النبي ﷺ: «يد الله مع الجماعة» رواه النسائي (٤٠٢٠) وابن حبان (٤٥٧٧).

(٢) النصيحة لولادة الأمر، ويشمل:

الدعاء لهم، وإرشادهم بالتي هي أحسن، وبيان الحق لهم بلطف، وعدم التشهير بهم، وعدم إثارة الناس عليهم، وعدم نشر أخطائهم بين العامة، قال النبي ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» رواه مسلم (٥٥).

(٣) الإطاعة: طاعة ولي الأمر واجبة في غير معصية، وتشمل:

تنفيذ الأوامر، وحفظ الأمن، وعدم الخروج، وعدم إثارة الفوضى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

لِأَوْلِيَاءِ الْأَمْرِ... فِي مَنْشَطٍ أَوْ عُسْرٍ

هذا البيت يُقرر فيه الناظم أن الطاعة ليست مرتبطة بالظروف:

الطاعة في المنشط والعسر، أي:

في حال الرضا أو الغضب، وفي حال السعة أو الضيق، وفي حال القوة أو الضعف، وفي حال موافقة النفس أو مخالفتها.

وهذا من أعظم أسباب استقرار الأمة، قال النبي ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ» رواه البخاري (٧١٤٢).

فِي غَيْرِ مَا عَصِيَانٍ... وَلِنَدْعُ لِلسُّلْطَانِ

هذا البيت يؤكد الضابط الشرعي للطاعة، ويذكر حقًا علينا لولاة الأمر:

(١) في غير ما عصيان: أي: الطاعة واجبة ما لم تكن معصية.

فإن أمر وليّ الأمر بما يخالف الشرع:

لا يُطاع، لكن لا يُشهر به، ولا يُخرج عليه، بل يُنصح سرًّا، ويُدعى له بالصلاح، قال النبي ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ» رواه أحمد (٢٠٦٥٣).

(٢) الدعاء للسلطان: الدعاء لولاة الأمر أصلٌ من أصول أهل السنة، لأنه: سبب لصلاح الأمة، وسبب لرفع البلاء، وسبب لاستقرار البلاد، وسبب لانتشار الأمن، وسبب لرفعة الدين، قال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله: «لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان»، لأن صلاحه صلاحٌ للجميع.

الخلاصة

- لزوم الجماعة أصل من أصول الدين.
 - النصيح لولاة الأمر واجب بالرفق والسر.
 - الطاعة واجبة في المنشط والعسر.
 - لا طاعة في المعصية.
 - الدعاء للسلطان من أعظم أسباب صلاح الأمة.
- هذه الأبيات تحفظ وحدة المسلمين وتسدّ أبواب الفتن.

الولاء والبراء

٩٤. وَالْمُسْلِمِينَ وَالْإِيمَانِ ... وَالْكَافِرِينَ عَادِيهِمْ

٩٥. بِالْحُبِّ وَالْإِسْعَافِ ... وَالْبُغْضِ وَالْإِنْصَافِ

وَالْمُسْلِمِينَ وَالْإِيمَانِ ... وَالْكَافِرِينَ عَادِيهِمْ

هذا البيت يُقرر أصل الولاء والبراء:

(١) الولاء للمسلمين: والولاء هو: المحبة، والنصرة، والأخوة، والدعاء، والستر، والإحسان، والفرح لطاعتهم، والحزن لمعصيتهم، والوقوف معهم في الحق، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [سورة الحجرات: ١٠]، فالولاء للمسلمين أصل من أصول الإيمان.

(٢) البراء من الكافرين: والبراء هو: عدم محبتهم لدينهم، وعدم نصرتهم على المسلمين، وعدم الرضا بكفرهم، وعدم التشبه بخصائص عباداتهم، وعدم موالاتهم في الباطل، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]، لكن البراء ليس ظلمًا ولا عدوانًا، بل هو براء من الدين والباطل.

بِالْحُبِّ وَالْإِسْعَافِ ... وَالْبُغْضِ وَالْإِنْصَافِ

هذا البيت يذكر الضابط الأخلاقي العظيم في باب الولاء والبراء:

(١) «بالحبِّ والإسْعَافِ» — الولاء للمؤمنين: أي: نُحبُّ المؤمنين، ونعينهم، ونسعفهم عند الحاجة، ونقف معهم، ونرحمهم، ونسترهم، ونغيثهم، ونفرح لطاعتهم، ونحزن لمعصيتهم. هذا هو الولاء الشرعي.

(٢) «والبغض والإنصاف» — البراء من الكافرين

لاحظ دقة الناظم، لم يقل: "والبغض والظلم"، بل قال: «والبغض والإنصاف»، أي: نبغض كفرهم، ولا نظلمهم، ولا نعتدي عليهم، ولا نأكل حقوقهم، ولا نخونهم، ولا نغدر بهم، ونعاملهم بالعدل، ونحسن إليهم إذا لم يحاربوا الدين، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: ٨]، فالبغض للكفر، والعدل مع الكافر... وهذا هو الميزان الشرعي.

الخلاصة

- الولاء للمؤمنين: محبة، ونصرة، وإسعاف، ورحمة.
- البراء من الكافرين: بغضٌ لكفرهم، لا ظلمٌ لهم.
- الولاء والبراء ليسا دعوةً للعدوان، بل ميزانٌ يجمع الإيمان والعدل.
- الولاء: يجمع القلوب.
- البراء: يحفظ العقيدة.
- الإنصاف: يمنع الظلم والعدوان.

- مكارم الأخلاق

٩٦. وَلْتَحْفَظِ اللِّسَانَ... وَطَهِّرِ الْجَنَانَ

٩٧. وَاصْبِرْ لِأَجْلِ الْحَقِّ... وَكُنْ جَمِيلَ الْخُلُقِ

٩٨. سَهْلًا حَلِيمًا رَاحِمًا... جَلَدًا كَرِيمًا حَازِمًا

٩٩. مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ... مَفَاتِيحُ الْأَرْزَاقِ

١٠٠. وَتَرْفَعُ الْإِنْسَانَ... وَتُثْقِلُ الْمِيزَانَ

وَلْتَحْفَظِ اللِّسَانَ... وَطَهِّرِ الْجَنَانَ

هذا البيت يؤكد أصليين من أعظم أصول الأخلاق:

(١) حفظ اللسان: واللسان أخطر الجوارح، وهو سبب:

صلاح أو فساد، وقرب أو بعد، ومحبة أو بغضاء، ونجاة أو هلاك، وحفظ اللسان يشمل: ترك الغيبة، وترك النميمة، وترك السباب، وترك الكذب، وترك السخرية، وترك الجدال العقيم، وقول الخير أو الصمت، قال النبي ﷺ: «وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» رواه الترمذي (٢٦١٦).

(٢) تطهير الجنان (القلب): والقلب هو ملك الجوارح، وتطهيره يشمل:

إزالة الحسد، وإزالة الكبر، وإزالة الرياء، وإزالة الحقد، وإزالة سوء الظن، وملؤه بالرحمة، وملؤه بالصدق، وملؤه بالإخلاص، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۖ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

﴿٨٩﴾ [سورة الشعراء: ٨٨-٨٩].

وَاصْبِرْ لَأَجْلِ الْحَقِّ ... وَكُنْ جَمِيلَ الْخُلُقِ

هذا البيت يجمع بين الصبر وجمال الخلق:

(١) الصبر لأجل الحق: الصبر هو أساس الثبات، ويكون:

على الطاعة، وعن المعصية، وعلى البلاء، وعلى أذى الناس، وعلى طريق الدعوة، وعلى مشاق العلم.

فالصبر لأجل الحق هو صبرٌ لله، لا صبرٌ للناس.

(٢) جمال الخلق: هو: اللطف، والرفق، والرحمة، والحياء، والتواضع، والعفو، والبشاشة، وحُسن المعاملة، قال النبي ﷺ: «أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً» رواه الترمذي (٢٠١٨).

سَهْلًا حَلِيمًا رَاحِمًا ... جَلَدًا كَرِيمًا حَازِمًا

هذا البيت يرسم صورة الإنسان المسلم في أخلاقه:

(١) سهلاً: سهل التعامل، غير معقد، غير فظ، غير غليظ.

(٢) حلیمًا: الحلم هو ضبط النفس عند الغضب، وهو من صفات الأنبياء.

(٣) راحمًا: الرحمة تشمل:

الضعيف، والمحتاج، والجار، والطفل، والحيوان، والخادم، والزوجة، والوالدين.

(٤) جلدًا: الجلد هو القوة في الحق، والصبر على الشدائد.

(٥) كريمًا: الكرم في: المال، والوقت، والعفو، والمعاملة، والكلام.

(٦) حازمًا: الحزم هو: ضبط الأمور، وعدم التردد، واتخاذ القرار الصحيح، وعدم الانسياق وراء العواطف.

مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ ... مَفَاتِحُ الْأَرْزَاقِ

هذا البيت يُقرر قاعدة شرعية عظيمة:

الأخلاق سبب للرزق

نعم... الأخلاق تجلب الرزق:

- وبرّ الوالدين يفتح الأبواب،
- والصدق يجلب البركة،
- واللطف يجلب المحبة،
- والرحمة تجلب التوفيق،
- وحسن المعاملة يجلب الفرص،
- والصبر يجلب الفرج،

قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» رواه أحمد (٨٩٥٢).

وَتَرْفَعُ الْإِنْسَانَا ... وَتُثْقِلُ الْمِيزَانَا

هذا البيت يُبين أثر الأخلاق في الدنيا والآخرة:

(١) ترفع الإنسان: الأخلاق ترفع الإنسان:

في أعين الناس، وفي المجتمع، وفي العمل، وفي الأسرة، وفي القلوب، وفي التاريخ.

(٢) تثقل الميزان: حسن الخلق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة.

قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ» رواه أبو داود

(٤٧٩٩)، وأحمد (٢٧٥١٧).

الخلاصة

- حفظ اللسان وتطهير القلب أساس الأخلاق.
- الصبر لأجل الحقّ وجمال الخلق طريق السعادة.
- السهولة والحلم والرحمة والجلّد والكرم والحزم صفات يسعى لها المسلم.
- مكارم الأخلاق مفاتيح الأرزاق.
- الأخلاق ترفع الإنسان في الدنيا، وتُثقل ميزانه في الآخرة.

الخاتمة

١٠١. تَمَّتْ بِحَمْدِ رَبِّي ... حَبِيبَةً لِقَلْبِي
١٠٢. حَاوِيَةَ الْأُصُولِ ... مَأْمُولَةَ الْقَبُولِ
١٠٣. أَحْيَا بِهَا حَيَاتِي ... أَرْجُو بِهَا نَجَاتِي
١٠٤. يَا رَبِّ يَسِّرْ عَلِمَهَا ... وَشَرِّحَهَا وَفَهَمَهَا
١٠٥. وَارْحَمْ مَنْ اعْتَنَى بِهَا ... وَاشْرِكْهُ فِي ثَوَائِهَا
١٠٦. وَالْحَمْدُ لِلْحَمِيدِ ... خَاتِمَةُ الْقَصِيدِ

تَمَّتْ بِحَمْدِ رَبِّي ... حَبِيبَةً لِقَلْبِي

يُعلن الناظم تمام منظومته المباركة، ويُسند الفضل لله وحده:
تَمَّتْ بفضل الله، واكتملت بعونه، وهي محبوبة لقلبه لأنها تجمع أصول الدين.
وفي هذا أدبٌ عظيم: نسبة الفضل لله، لا للنفس.

حَاوِيَةَ الْأُصُولِ ... مَأْمُولَةَ الْقَبُولِ

يشير إلى أن المنظومة:
جمعت أصول العقيدة، ورتبت مسائل الإيمان، ولخصت منهج أهل السنة والجماعة، ورجي قبولها عند الله.
فهي ليست مجرد أبيات... بل خلاصة منهج.

أَحْيَا بِهَا حَيَاتِي ... أَرْجُو بِهَا نَجَاتِي

هذا البيت يربط العلم بالحياة:

العلم حياةٌ للروح، وهدايةٌ للقلب، ونورٌ للطريق، وسببٌ للنجاة يوم القيامة.

فكأن الناظم يقول: هذه المنظومة ليست للحفظ فقط... بل للحياة والعمل والنجاة.

يَا رَبِّ يَسِّرْ عَلِمَهَا ... وَشَرِّحَهَا وَفَهِّمَهَا

دعاءٌ عظيم بثلاثة مطالب:

تيسير العلم، وتيسير الشرح، وتيسير الفهم

وهذه الثلاثة هي مفاتيح الانتفاع بالعلم.

وَارْحَمَ مَنْ اعْتَنَى بِهَا ... وَاشْرَكَهُ فِي ثَوَائِهَا

هذا من أجمل أبيات الخاتمة...

دعاءٌ لكل من:

حفظ المنظومة، وشرحها، وفهمها، ونشرها، واعتنى بها.

وفيه معنى عظيم:

من نشر العلم نال أجره وأجر من عمل به.

وَالْحَمْدُ لِلْحَمِيدِ ... خَاتِمَةُ الْقَصِيدِ

يختم كما بدأ:

بالحمد، والشكر، والاعتراف بالفضل.

وهذا أدب العلماء:

ابتداءً بالحمد ... وختاماً بالحمد.

الخلاصة

- المنظومة اكتملت بحمد الله.
- جمعت أصول العقيدة ومنهج أهل السنة.
- هي حياة للقلب ونجاة للروح.
- خُتِمت بدعاءٍ بالتيسير والفهم والرحمة.
- وخُتِمت بالحمد كما بدأت بالحمد.

تم هذا التعليق على منظومة البيضاء في عقيدة السلف ونجاة الخلف في شهر جمادى الأولى
من عام ١٤٤٨ هـ والله الحمد.

الفهرس

٤	المقدمة
٦	المنظومة كاملة
٢١	مصادر التلقي
٢٣	الأصول الثلاثة
٢٣	الأصل الأول: معرفة العبد ربه
٢٥	الأصل الثاني: معرفة العبد دينه
٢٦	الأصل الثالث: معرفة العبد نبيه
٢٨	التوحيد وأنواعه
٣٠	النوع الأول: توحيد الربوبية
٣٢	النوع الثاني: توحيد الألوهية
٣٥	النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات: قاعدة الأسماء والصفات
٣٧	صفات الله قسمان: ذاتية وفعلية
٤٤	المناهي اللفظية
٤٨	الغلو والتساهل في الدين
٥١	التبرك والتوسل
٥٥	تعلق القلب بغير الله
٦٢	مراتب الدين
٦٢	المرتبة الأولى: الإسلام: أركانه
٦٧	بقية أركان الإسلام
٦٩	المرتبة الثانية: الإيمان: أركانه

- الإيمان المجمل والمفضل ٨٢
- المرتبة الثالثة: الإحسان ٨٤
- حقيقة الإيمان ومُسمّاه ٨٦
- خوارم الإيمان والتوحيد ٨٩
- عذاب القبر ونعيمه ٩١
- الشفاعة الكبرى ٩٥
- الحساب ٩٧
- الأهوال والجنة والنار ١٠٠
- رؤية المؤمن لله ١٠٣
- الحقوق ومكارم الأخلاق ١٠٥
- حق النبي ﷺ ١٠٧
- حق الصحابة ١٠٩
- حق الوالدّين والعلماء والأقارب ١١٢
- لزوم الجماعة وطاعة ولي الأمر ١١٥
- الولاء والبراء ١١٨
- مكارم الأخلاق ١٢٠
- الخاتمة ١٢٤



مقتطفات

- مصدرنا في التلقي: القرآن والسنة بفهم الصحابة رضي الله عنهم، والسلف الصالح هم القدوة في فهم الدين
- لا إسلام صحيحاً إلا بالتوحيد، ولا توحيد صحيحاً إلا بالطاعة، وحق الله الأعظم توحيد وإخلاص الدين ل
- ثبت لله ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل
- حماية التوحيد واجب كتحقيقه، وسد ذرائع الشرك من أعظم قواعد الشريعة
- تطهير التوحيد يكون بإزالة مظاهر الشرك والبدع، والتعلق بالقبور أصل الشرك عند الأمم السابقة
- شرط صحة العمل اتباع النبي ﷺ، ولا يقبل عمل بلا توحيد ولا اتباع
- حسن الظن بالله عبادة عظيمة
- الإسلام هو السعادة الحقيقية
- الله يعلم الغيوب، ويغفر الذنوب، ويكشف الكروب، ويطلع على القلوب
- المسلم لا يكفر إلا بمكفر صريح، والحكم في ذلك للعلماء الراشدين
- نحب الصحابة وآل البيت وزوجات النبي ﷺ، ونوقرهم ونسلم بفضلهم
- نوالي المؤمنين ونحبهم، ونبرأ من الكفر وأهله، مع العدل وعدم الاعتداء، وهو ميزان يجمع بين الإيمان والعدل
- حفظ اللسان وتطهير القلب أساس الأخلاق
- الصبر على الحق طريق السعادة
- مكارم الأخلاق تثقل ميزان الآخرة